جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم العلوم الإنسانية

العراق بين الصراع العثماني الصفوي 1508م-1736م

مذكرة لنيل شهادة الماستر
تخصص تاريخ حديث ومعاصر

- إعداد الطالبتين :
* حورية مكيوي
* آمنة شيخي

- إشراف الأستاذة:
* نادية طرشون

السنة الجامعية
2018/2017

قائمة المختصرات

الرمز	دلالته
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د ص	دون تصفيح
ج	الجزء
دت	دون تاريخ الطبع
ط	الطبعة
مج	المجلد
Vol	الجزء

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة الأحقاف – الآية 15.

الحمد لله الذي جعلنا خير أمة أخرجت لناس وألبسنا لباس التقوى، نحمد الله عز وجل ونشكره على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل المتواضع، وصلى الله وسلم على رسولنا الكريم الذي حث على العلم ورغب فيه، عليه أفضل الصلاة والسلام.

ونتقدم بجزيل الشكر والعرفان، مع كل معاني الإحترام والتقدير للأستاذة المشرفة "نادية طرشون" التي لم تبخل علينا بمعلوماتها وتوجيهاتها في جميع مراحل هذا العمل، كما لا يفوتنا توجيه جزيل الشكر والامتنان للدكتور " الغالي غربي" لمساعدته وتقديمه لنا توجيهات أنارت دربنا في هذا المحث وخاصة من خلال فتحه لنا أبواب مخبره، الذي أعاننا في إتمام عملنا هذا وجزاكما الله ألف خير .

ونوجه شكرنا أيضا لعمال المكتبة الذين ساعدونا من خلال تسهيلاتهم لنا في مرحلة البحث عن المادة العلمية، وإلى كل أساتذة جامعة قسم التاريخ بجامعة الدكتور يحى فارس .

وجزاكم الله ألف خير ونسأل الله المولى عز وجل التوفيق في خدمة العلم والعلماء والوطن.

إ هـــــــــــــــــــــد ا ء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم

بداية أهدي هذا العمل المتواضع إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب والحنان إلى حبيبتي أمي إلى سندي ومثالي في الحياة إلى أبي العزيز .

إلى من بهم أكبر وعليهم أعتمد، شموع تنير حياتي إخوتي: حسين وزوجته وإبنته عبير نور سين، إسماعيل وزجته وأولاده رزان ومحمد إياد وإلى صغيرهم عبدو

إلى شقيقتاي، عقيلة، سعيدة وخطيبها، نورة، خولة وأزواجهم وأولادهم خلود، مفيدة، حسام ووئام.

إلى من سأعيش معه فرح الدنيا وحزنها إلى خطيبي عنتر.

إلى جميع أفراد عائلة عمورة ومكيوي من صغيرهم إلى كبيرهم، إلى روح جدي الغالي رحمة الله.

إلى رفيقات دربي طيلة تكويني الجامعي، عفاف، وفاء، أمينة، نادية، إلى صدبقتي وشقيقة ورفيقة حياتي التى قاسمتني هذا العمل المتواضع أمينة شيخي.

إلى كل من ذكرتهم بقلبي ونسيتهم بقلمي أهدي هذا العمل المتواضع.

وإلى كل من علمني ولم يبخل على بشيئ ، أساتذتي طوال مشواري الدراسي .

حوريـــــة

إ هـــــــــــــــــــد ا ء

قال الله تعالى ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

إلى التي سهرت على ليالي وأيام وحرصت على تعليمي وتربيتي أحسن تربية وفرحت بنجاحي ودعمتني في كبواتي، لكي الشكر وألف شكر

إلى نبع الحنان أمي الغالية.

إلى الذي تعب علي وكاندائم الحرص على مساندتي، إنه مرشدي وناصحي في حياتي، إلى الذي لم يدخر جهدا ولا مالا من أجل دفعي لطريق النجاح

إلى نبع الأمان أبي الغالي.

إلى من تسري في عروقنا دماء واحدة، إلى سندي وسلاحي في الصعاب وعزوتي في هذه الحياة إلى إخوتي "عبد السلام، عبد النور، منير"

وتحية خاصة إلى زوجتي أخواي "فاطمة الزهراء وسهيلة "والكتكوت "آدم"

إلى صديقة الطفولة وداعمت حياتي "نجية".

إلى رفيقاتي في مشواري الدراسي "وفاء، عفاف، نسيمة، أميرة، كنزة، نادية"

إلى صديقة الطفولة ورفيقة الدراسة وزميلتي التي قاسمت معي عناء إنجاز هذه المذكرة "حورية مكيوي".

والشكر لله تبارك وتعالى الذي لولاه لما وصلنا لهذا المنزل ولهذه الشهادة والحمد لله وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمينـــة

مقدمة

مقدمة :

عرفت الدولة العثمانية منذ قيامها في القرن 13م بكونها حامية لراية الإسلام وناشرة له، حيث إنتهجت سياسة الغزو والجهاد والتوسيع في أوروبا، لكن في القرن 16م شهدت هذه الأخيرة العديد من العراقيل، منها ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس ، ورغبتها في نشر المذهب الشيعي عنوة على حساب المذهب السني العثماني، هذا ما دفع الدولة العثمانية إلى تغيير وجهة إستراتيجيتها من الغرب المسيحي إلى الشرق الإسلامي.

اتسمت العلاقات العثمانية الصفوية بالعداء والتوتر، برز هذا في ظهور نزاعهما العنيف على العراق الذي شكل نقطة جذب للطرفين وأضحى الأخير ساحة الصراع بين هاتين الدولتين، الذي وقعت على أرضه حروبا عديدة من أجل السيطرة عليه وإستعمار خيارته لصالحهما، لتمييزه بموقع إستراتيجي مهم وكونه يمثل منفذ سهلا للوصول إلى بلاد الشام، ناهيك (إضافة) إلى عدة عوامل أخرى، سببت في دوام الصراع قرنين ونصف القرن من القرن 16م إلى النصف الأول من القرن18م، حيث يعد عهد السلطان سليم الأول -1512م،1520م'هو البداية الحقيقية لنمو الصراع العثماني-الصفوي' سياسيا' عسكريا' عقائدياواقتصاديا'الذي اشتد وبرز على العراق في عهد السلطان سليمان القانوني -1520م-1566م والشاه طهماسب الأول 1524م-1576م.

وطوال مدة الصراع عقد العثمانيون والصفويون عدة معاهدات وإتفاقيات من أجل إحلال السلام وتحسين العلاقة بينهما، وظهر على إثر هذا الصراع تدخل الدول الأوروبية بأشكال مختلفة، لعبت دورا في تغيير مجريات هذا الصراع.

دواعي إختيار هذه الدراسة:

سبق إختيار كل موضوع عدة دوافع إختلفت بين دوافع علمية وأخرى شخصية، فأما عن الدوافع العلمية فتكمن في رغبتنا في التخصص لموضوع العراق بين الصراع العثماني الصفوي، حيث نلاحظ تناول الموضوع بطريقة غير مباشرة أو دراسة كل طرف على حدى دون وجود

التخصص في موضوع العراق، لذلك جاء إختيارنا لهذا الموضوع لتسليط الضوء عليه والتخصص فيه إلى حد معين.

أما الدوافع الشخصية لإختيار هذه الدراسة فقد غلب عليها دافع معرفي منا في البحث والتخصص في التاريخ العثماني في البلاد العربية ومعرفة كيفية قيام هذا الصراع وما مدى تأثيره على بلاد العراق والعلاقة العثمانية الصفوية، كما أردنا أن يكون كعمل إضافي يساهم في إثراء تاريخ العلاقات العثمانية الصفوية ويفتح آفاق جديدة للبحث أكثر في هذا الموضوع خاصة بلاد العراق الذي لا يزال مادة خام إلى حد ما .

أهميةالدراسة:

يكتسي موضوع العراق بين الصراع العثماني الصفوي من 1508م-1736م أهمية كبيرة من حيث الإطار الزماني الذي حدد من القرن 16م إلى غاية النصف الأول من القرن 18م، وهي مرحلة طويلة ومهمة من تاريخ العلاقات العثمانية الصفوية الإيرانية، جاءت هذه العلاقات في المرحلة الإنتقالية للدولتين من عصرالقوة إلي الضعف'اضافة إلي أن هذه الدراسة تهدف بشكل رئيسي إلي كشف الغموض والتطرق لموضوع العراق بصفة خاصة والمساعدة في فهم الكثير من الأحداث التاريخية الحاسمة التي عرفها العالم الإسلامي في هذه الفترةّ، كما يوضح لنا مدى الأهمية البالغة التي أولتها الدولة العثمانية لمجابهة الخطر الشيعي في العراق بصفة خاصة ودورها في حفظ الإستقرار إلى حد ما في المنطقة.

الإشكالية :

موضوع دراستنا يرتبط أساسا بالصراع العثماني الصفوي على العراق منذ مطلع القرن 16م إلى النصف الأول من القرن 18م.

كان الصراع بين الطرفين صراع ديني، إستراتيجي، سياسي، إقتصادي، برزت فيه الدولة العثمانية كدولة ذات نفوذ وقوة، على عكس الدولة الصفوية التي كانت دولة فتية في طريق النشوء، التي عرفت القوة بمرور الوقت، مستخدمتا الحيلة في هذا الصراع من خلال إغتنامها الفرص المناسبة لتنقض على الدولة العثمانية .

فمن خلال دراستنا هذه سنركز على تطور الصراع بين الدولتين وعلى معالجة المحطات التاريخية التي كانت في قلب الصراع.

أما عن الإشكالية التي بنينا عليها موضوعنا هذا هي :

ماهي مجريات وإنعكاسات الصراع العثماني الصفوي على العراق من القرن 16م إلى النصف الأول من القرن 18م؟

التي عالجت مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:

- ماهي عوامل الصراع العثماني الصفوي على العراق؟
- ماهي أسباب رغبة كل من الطرفين في العراق؟
- كيف كانت بداية هذا الصراع من ق16م إلى ق17م؟
- ماهي أبرز الأحداث التي حصلت نتيجة هذا الصراع في النصف الثاني من القرن 17م إلى غاية النصف الأول من القرن 18م؟
- ماهي آثار وتداعيات هذا الصراع على العراق من جهة وعلى الدول الأوروبية من جهة أخرى؟

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد أعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي أما بالنسبة للمنهج التاريخي الوصفي، فهو لزم علينا إتباعه وذلك راجع لطبيعة المواضيع التاريخية التي تعتمد على سرد الوقائع والأحداث بشكل دقيق ووصفها وصفا كرونولوجيا.

أما المنهج التحليلي فوجب علينا الإعتماد عليه وذلك بصفة خاصة عند تطرقنا للمعاهدات المبرمة بين الدولة العثمانية والصفوية في العراق وتحليل بنودها واستخراج تأثيرها على بلاد العراق.

خطـة الدراســة:

للإحاطة بالموضوع بكل جوانبه وبشكل دقيق، فقد عالجناه وفق الخطة التالية: مقدمة وثلاث مباحث، تضمن كل مبحث مجموعة من المطالب وخاتمة .

المبحث الأول: تناولنا فيه مظاهر الصراع العثماني الصفوي على العراق، شمل مطلبين ، المطلب الأول عن عوامل الصراع العثماني الصفوي على العراق ورغبة كل من الصفويين والعثمانيين بالعراق، في حيث المطلب الثاني تطرقنا فيه للبدايات الأولى للصراع العثماني الصفوي على العراق من 1508م إلى 1524م

المبحث الثاني: عالجنا فيه تطور الصراع العثماني الصفوي من1524م إلى 1736م، شمل هو الآخر مطلبين، جاء فالمطلب الأول المرحلة الأولى من الصراع 1524م/1588م ، كما جاء المطلب الثاني المرحلة الثانية من الصراع 1588م/1736م .

المبحث الثالث: تطرقنا إلى تداعيات وآثار الصراع العثماني الصفوي على العراق، قسمناه إلى ثلاثة مطالب، ذكرنا في المطلب الأول شارحين ومحللين للمعاهدات المبرمة اثر هذا الصراع، في المطلب الثاني شرحنا كيفية تدخل الدول الأوروبية في هذا الصراع، أما المطلب الثالث كان عبارة عن نتائج لهذا الصراع على بلاد العراق.

وأنهينا هذا العمل بخاتمة شملت مجموعة من الاستنتاجات ومجموعة من الملاحق .

صعوبات الدراسة :

معالجتنا لموضوع العراق بين الصراع العثماني الصفوي من القرن 16م إلى النصف الأول من القرن 18م لم تخلوا من الصعوبات، حيث أن الدراسات السابقة لم تتطرق للموضوع بصفة خاصة، بل قدمت بعض المعلومات المتفرقة عنه، إضافة إلى أنه في أغلب الأحيان نجد مصادر عثمانية أو صفوية تتحدث عن كل طرف على حدى، فهي بتالي تتضمن وجهتي النظر العثمانية والصفوية فهي غير حيادية في تناولها الموضوع وتسجيلها للمعلومات، مما إستدعى الحذر في استخلاص المعطيات منها، وحاولنا إعتماد الموضوعية في تناولنا لهذه الدراسة بالقدر المستطاع، نرجو أن نكون

قد أعطيناه ولو القليل من حقه، ونكون مهدنا لإلقاء الضوء على هذا الموضوع والتخصص فيه، لما يحتويه من العديد من الخبايا التي يلزم ويجب التعمق فيها ودراستها .

التعريف بأهم المصادر و المراجع المعتمد عليها :

الإجابة عن مجموع هذه التساؤلات، لجأنا إلى الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع التي ساعدتنا في إماطة اللثام عن بعض القضايا التاريخية التي تندرج في إطار العراق بين الصراع العثماني الصفوي 1508م 1736م ومن مجموع هذه المصادر والمراجع نذكر مايلي:

- محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران 1501م1736م، ساعدنا في ذكر أهم المعاهدات التي عقدت بين الطرفين، وتحليلها.
- ستيفن هيملسي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، أفادنا في معرفة أحداث والمعارك وما ترتب عنها خاصة في عهد السلطان سليمان القانوني .
- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، لجأنا إليه لذكر أهم السلاطين العثمانيين الذين عاصروا هذا الصراع، بداية من السلطان سليم الأول .
- شوقي أبو خليل، تشالديران، سليم الأول وإسماعيل الصفوي، أفادنا في ذكر تفاصيل معركة جالديران، ونتائجها وما ترتب عنها من مجريات أحداث.
- نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي، أفادنا في ذكر ومعرفة تفاصيل تدخل الدول الأوروبية في الصراع خلال الفترة المدروسة
- على ظريف الأعظمي، تاريخ الدولة الفارسية في العراق، الذي عرفنا عن فترات تواجد وحكم الدولة الصفوية للعراق وعن حروبها مع الدولة العثمانية في العراق.

المبحثI:مظاهر الصراع العثماني الصفوي على العراق

المطلب الأول :عوامل الصراع العثماني الصفوي على العراق.

1 -عوامل الصراع.

2 -أسباب رغبة الدولة الصفوية بالعراق.

3 - أسباب رغبة الدولة العثمانية بالعراق.

المطلب الثاني : بداية الصراع العثماني الصفوي على العراق من 1508م إلى 1524

1 -دخول الشاه إسماعيل لبغداد.

2 -معركة جالديران 1514م.

3 -نتائج معركة جالديران 1514م.

المبحث الأول

●المطلب الأول: عوامل الصراع العثماني الصفوي على العراق:

في مطلع القرن الخامس عشرة ميلادي ظهرت قوة ثلاث دول على مستوى الشرق الأوسط تمثلت الأولى وهي قديمة في دولة المماليك في مصر،الشام، الحجاز واليمن أما الثانية فهي الدولة العثمانية في الأناضول والبلقان التينشأت من أمارة ستية صغيرة في الجهة الشمالية الغربية من آسيا الصغرى (تركيا حاليا)،وحملت لواء الجهاد ضد جارتها الكبيرة المرهقة الدولة البيزنطية ثم إستولت على القسطنطينية في 1453م لتصبح عاصمة لها زهاء أربعة قرون،ثم مدت كذلك في الجهة الأخرى على الشرق حتى تاخمت دولة المماليك في الشام والحدود الشمالية الغربية لدولة الصفوية الشيعية هذه الاخيرة التي تأسست على يد الشيخ صفي الدين بإيران، في النصف الثاني من القرن الخامس عشرة ميلادي وإتخذت المذهب الشيعي مذهبا لها وإتخذت تبريز عاصمة لها ونشأ صراع بينهما وبين الدولة العثمانية على العراق لأسباب عديدة،من بينها الموقع الاستراتيجي والحدود المشتركة بينهما في العراق فكانت العراق مسرحا لنزاعهما على مدى قرنين ونصف القرن{**1508م –1736م**}

المبحث الأول

1-عوامل الصراع:

أ-العامل الديني:

كانت إيران مستوطنة من قبل قبيلتان من قبائل التركمان، وهذا قبل عهد الصفويين همت قراقو ينلو أي أصحاب الخراف السوداء واق قوينلو أي أصحاب الخراف البيضاء.

إتسمت أوضاعإيران أثناء هذه الفترة بكثرة الفوضى، واستمرار القتال بين القبيلتين وكان هذا بعد ان تجزأتالإمبراطوريةالتيموريتين بعد وفاة تيمورنك[1] مما زاد الفوضى فالمنطقة، وكان من نتائج سوء الاوضاع بإيرانظهرت الدولة الصفوية بها 1508م، كان مؤسس هذه الأخيرة قد أقام كيانها وأرس قواعدها وبنياتها وفرض فيها المذهب الشيعي بالقوة، وأقام دولة ذات قوة وشوكة وحدود وهو شاه إسماعيل بن حيدر الصفوي وينسب الصفويين إلى صفى الدين الأردبيلبيالجد السادس لإسماعيل الصفوي كان صاحب الطريقة الصفوية هذا ما ساعد التحالف الناس حوله بعد وفاته، خلفه في الرئاسة أتباعه إبنه صدر الدين موسى الذي مشى على خطى والده، ثم ابنه صدر الدين خواجة على سياهبوش، ويعتبر أول من اعتنق المذهب الشيعي من الأسرة الصفوية ودعا إليه وهذا يعتبر نقطة تحول في مسار الأسرة ثم خلفه ابنه حيدر إزداد مؤيديه بأعداد كبيرة الذي بدأ يكشف رغبته في الملك على إيران، وقتل في سبيل ذلك ثم خلفه إبنه السلطان حيدر وإستعد للإنتقام لمقتل أبيه فأعد جيشا جعل أفراده[2]يرتدون القبعات الحمراء، ومنذ ذلك الوقت صار أتباعه يعرفون بالقزلباش ثم إنتقل الحكم إلى ابنهعلي لكن سرعان ما قتل[3]،ثم إنتقل الأمر إلى ابنه السلطان حيدر الثاني مؤسس الدولة الصفوية الشاه إسماعيل من 1500م -1524م، وحد إيران وأقام دولة قوامها القوة العسكرية والمذهب الشيعي، جهل من تبريز عاصمة لها وكان من أسباب تصادمهم مع الدولة العثمانية هو محاولتهم من مد نشاطهم المذهبي في الأناضول -آسيا الصغرى- فأدى ذلك إلى صراع بين الدولتين لأسباب متعددة منها السبب الديني المتمثل في :

---

(1) تيمورنك هو تيمورلنك إبن طرغاي الأعرج،وهوالنط في لغتهم، ظهر في كردستان وتغلب على ملكهم وخاض حروبا عضيمة في بلاد ما وراء النهرين وبخاري وسمر قندو خرستان أنصر محمد بن على الشوكاني،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن 7، القاهرة، السعادة1348م ،ص 173.180.

(2) أبو الحسن علوي بن حسن عطرجي، الصفويون والدولة العثمانية، دار الأندلس، الخضراء د.ص.

(3)نفسه ، د ص

- الدولتين العثمانية والصفوية كانتا على طرفي نقيض فقد كان الأتراك منذ دخولهم الإسلام الحماة التقليديين للمذهب السني أما الصفويين فقد كانوا على عكسهم دعوا إلى مذهب الإثنى عشرة[1]،وأعلن الشاه إسماعيل أن الشيعة هو المذهب الرسمي للبلاد[2].

ب –العامل الاستراتيجي:

مشاكل الحدود وتداخلها بين الدولتين ورغبة الدولة العثمانية في تأمين حدودها الشرقية، وذلك بعد محاولة الدولة الصفوية التوسع على حساب بلاد الأناضول[3]

ج–العوامل السياسية:

1)تشجيع الدولة الصفوية الأقليات الشيعية الموجودة فالأناضول حيث أشعل القزلباش[4] تمردا جديدا عام 1511م في مرتفعات الأناضول الغربية بقيادة أحد دعاة شاه إسماعيل،حيث قامت قوات التمرد بإحراقوتدمير كل ما وجدته في طريقها إلى بورصة، حيث كان الأمراء العثمانيون منشغليين بالعرش في أيام الحكم الأخيرة للسلطان بايزيد الثاني .

2)قيام الشاه إسماعيل الصفوي بالتحالف مع ملك المجر ضد العثمانيين من جهة و طالب التحالف مه البندقية مقابل تزويده بالمدافع حيث كانت هذه الأخيرة في حرب مع الدولة العثمانية من جهة أخرى[5].

---

(1) مذهب الإثنى عشر: نسبة إلى أئمة الشيعة الجعفرية الإثني عشرة وهم:على بن أبي طالب، الحسن والحسين، علي زين العابدين، محمد الباقر، جعفر الصادق، موسى كاظم، على رضا، محمد التقي، حسن، العسكري محمد، مهدي المنظر.

(2) د/ عبد العزيز سليمان نوار.تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ،دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة، 1968، ص66.

(3) إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي مكتبة العبيكان ، الرياض .ص65

(4)القز لباش، من أشد القبائل في إيران وأصلهم تركي يتكون من تسع قبائل إلتفوا حول الأسرة الصفوية وكانوا من أشد مناصريها وكان دعمهم العسكري من أبرز وسائل القوة التي مكنت الأسرة. وتعني الرؤوس الحمراء، أطلقه العثمانيون على هذه القوات العسكرية، حيث تتخذ لباس للرأس عبارة عن تاج أحمر ذا إثنى عشر ذؤابة عن إثنى عشر إماما {رمز الشيعة}.

أنصر محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، 1501م -1736م -ط1.دار النفائس،بيروت، 2009 م ص41

(5)د/شوقي أبو الخليل،تشالديران، سليم الأول وإسماعيل الصفوي. ط1. دار الفكر دمشق 2005 ص ص 50، 51.

3) إحتضان الشاه إسماعيل الصفوي للثائرين على السلطان سليم الأول من إخوته وأقاربه والمعارضين لحكمه،حيث كان لهأخوين أحمد الذي طلب إبنه مراد المساعدة من الصفويين ولكنه توفى قبل ذلك في أصفهان، والذي كان منشغلا بالعلوم والآداب، ويمقت الحروب الذي عينه والده واليا على أماسيا وأخوه كركودة، الذي كان محبوبا لدى الأعيان والأمراء وسليم الذي كان محبا للحرب ومحبوبا لدى الجند عموما والإنكشارية خصوصا ويضغط من هؤلاء تنازل له ولده السلطان بايزيد الثاني على العرش في 25 أفريل 1512م[1] .

4)العداء الشخصي بين سليم الأول والشاه إسماعيل وتبادلهما الرسائل العنيفة عقب معرفة السلطان العثماني بمساندة الشاه إسماعيل لمراد إبن أخيه أحمد فتبادلا الرسائل العنيفة الشاتمةلبعضهما البعض حيث كان الشاه يلقب السلطان بالقيصر تصغيرا وتحفيزا له[2] .

د–العوامل الاقتصادية:

1)التنافس الاقتصادي التجاري حول تجارة الحرير فإيران كانت تعتمد على في تجارتها الخارجية أساسا على بيع الحرير الإيراني، وكانت قوافل تجارة الحرير تتخذ الطرق التالية:

- الطريق البرية عبر العراق والشام ومن الشام تنتقل إلى أوروبا
- الطريق البحرية حيث يرسل الحرير إلى الميناء هرمز في جنوب الخليج ومن المحيط الهندي أوجا تجاه أووربا عبر رأس الرجاء الصالح عبر الراضي الروسية ومنها الى أوروبا.

لكن الدولة العثمانية سرعان ما بدأت تبدي إعتراضها لهذه التجارة وهذا بفرض حصار تجاري عليها وأصبحت تتحكم بها.

2)ظهور أزمات اقتصادية متتالية كثورة الأسعار من جزاء تدفق الذهب والفضة وانفتاح الأسواقالأوربية هذه الأخيرة عانت منها السوق الإسلامية[3] .

(1) محمد فريد بك المحامي. تاريخ الدولة العثمانية .ط1. دار القائي، بيروت 1981م.ص ص 186 187.

(2) شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 52، 54.

(3)وجيه كوثراني،الفقيه والسلطان جدلية الدين والسياسة في تجربتين خارجيتين العثمانية والصفوية، القاجاربة، الطبعة 4. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2015م ص ص 86، 88، 89

2-أسباب رغبة الدولة الصفوية بالعراق:

1)دافع إيديولوجي وهو أن العراق أخر معتمد الاق قوينلو[1].

2)دافع إستراتيجي فالعراق[2]تتمتع بموقع إستراتيجي تلتقي فيه معظم الطرق الدولية أن ذلك والمنفذ الوحيد لإيران المؤدي إلى بلاد الشام ومنها إلى الحوض الأبيض المتوسط الغني بالحركة التجارية حيث بعد تحول الطريق بين الشرق والغرب إلى رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن 15م.

3) إشتمال العراق على مجموعة من الأماكن المقدسة لدى الشيعة وعلى الخصوص في النجف كربلاء وبغداد.

4)الرغبة في نشر المذهب الشيعي إلى أطراف إيران وأهمها العراق لما يحمله من خصوصية عرقية واختلاف أجناسه[3] .

(1)الآق قوينلو: هم أسرة تركمانية سنية وهي أصل أسرة الشيخ صفي الدين مؤسس الدولة الصفوية.

(2)العراق عرفتقديما ببلاد الرافدين(الدجلة والفرت) مساحتها 438446 كلم2 تقع جنوب غربي آسيا إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب، يحدها شمالا تركيا(الدولة العثمانية قديما)، شرقا إيران(الدولة الصفوية قديما) جنوبا الخليج العربي والكويت، غربا المملكة السعودية والأردن وسوريا، عرفت العراق بتنوع سلالاتها البشرية وتعاقبت عليها العديد من الحضارات فهي مهد الحضارات القديمة، فإرتبط تاريخ العراق منذ الحضارة الأكادية بالعناصر السامية التي خرجت من الجزيرة العربية، فالحضارة البابلية والحضارة الأشورية حتى الوصول إلى بلاد الرافدين السامية والمزدهرة وهو العهد العباسي التي كانت فيه العراق عامة والعاصمة بغداد خاصة منارة للعهد والمعرفة والرقي أنظر 1 نخبة من أساتذة الجغرافيا، الموسوعة الجغرافية م 4، الجمهورية العراقية، السعودية، 1419ه .ص 113، 163، 165، 235.
محمود شاكر، موسوعة تاريخ الخليج العربي الأردن 2005م ص89.

(3)عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية ،الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين ،ط1،دار النفائس ، 1999م، ص 70.

3-أسباب رغبة الدولة العثمانية بالعراق:

مما لا شك فيه أن العراق يأتي في مقدمة الإهتمام العثماني بالنسبة للبلاد العربية الإسلامية من القارة الأسيوية.

1)العراق يشكل خط دفاع الأول عن بلاد الأناضول (آسيا الصغرى) معهد ومركز الدولة العثمانية.

2)يعد العراق مركز مواجهة لتجحيم الخطر الصفوي الشيعي الفارسي المنافس.

3)بعدأن كان لدولة العثمانية فتح بلاد الشام بأسرها وضمت إلى ممتلكاتها مناطق إستراتيجية من الجزيرة العربية المعهد الأول للإسلام كان لابد منها من أن تفتح بغداد حيث يكون لها استكمال الفتح في الوطن العربي الآسيوي.

4) يعد العراق بخاصة جنوبه المعبر الطبيعي إلى مناطق الخليج العربي الذي يعد بدوره ممرا مائيا تجاريا مهما لتجارة مع الشرق وأيضا بوابة بحر العرب والمحيط الهندي ومناطق شرق إفريقيا.

5) أهمية العراق من الوجهتين الآثارية والحضارية إذ أن تاريخ العراق يرجع إلى أقدم العصور التاريخية[1].

(1)د/أبو علية حسين عبد الفتاح، الإمبراطورية العثمانية والوطن العربي دار المريخ، المملكة العربية السعودية. 2008م. ص 160.

●المطلب الثاني:بداية الصراع العثماني الصفوي على العراق من 1508م إلى 1524م:

ولد السلطان سليم عام 1467م،وهو ابن السلطان بايزيد الثاني إشتهر إسمه من خلال منازعته لأخيه الأكبر أحمد من ناحية ولأبيه من ناحية اخرى،وهذا جراء تعيين أبيه لأحمد ولي للعهد السلطان سليم كان طموحا للحكم مكنه هذا من جلب الجيش إلى جانبه،وكسبه لحبهم حقق من خلاله خلع والده عام 1512م،والاستلاءعلى العرش ووضع نصب عينيه هدفين هما،وضع حد للتحرشات الإسبانية بالأناضول[1]،والقضاء على المماليك[2]وفي هذه الأثناء بدأ الشاهإسماعيل الصفوي مد قوته على العراق،وشرق الأناضول ويرسل مئات الدعاة لنشر المذهب الشيعي هناك،فعمل جاهدا للإستلاء على العراق الشيء الذي أثار غضب السلطان العثماني سليم[3] .

1-دخول الشاه إسماعيل لبغداد:

(1)الأناضول: هي شبه الجزيرة التي تشمل المنطقة المعروفة بآسيا الصغرى تشكل 97% من أراضي تركيا الحاضرة، يفصلها من الشمال الغربي بحر مرمرة وقناة إسطنبول ويحدها من الشمال البحر الأسود ومن الغرب بحر إيجه والجنوب البحر المتوسط ويتصل من الشرق بمرتفعات جبلية واسعة، وأطلق هذا المصطلح في الماضي أيضا على وحدات إدارية ضغير أنظر: سهيل ص يان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 200م ص 45.

(2)على بن محمد اللخمي لاشبلي، الدرالمصان في سيرة المضفر سليم خان، تح هانس أرنست، دار الأحياء للكتب العربية القاهرة ، 1962،ص 9.

(3) د/ عبد المنعم إبراهيم الجميعي، المشرق والمغرب العربي، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الفيوم، القاهرة، 2013، ص 4.

في الوقت الذي كان فيه الشاهإسماعيل في همذان سنة 1508م،كانت بغداد تحت حكم باريك فقد بقى واليا عليها بعد ذهاب السلطان مراد،ولقوفه بعلاء الدولة وهذا الوالي تميز بالشجاعة وحبه السلطنة والاستقلال في بغداد[1].

ولم يخضع لنفوذ الشاه ...أما الشاه فتفكيره كان يدور حول كيفية تسخير بغداد، فقام أولا بإرسال خليل بيك وهو أحد قواده المشهورين المعترف بمقدرته إلى بغداد بصفة رسول ...نال هذا الأخير بإستقبال حار،وإجتمع بالوالي –باريك–وعند عودته أرسل معه أبو اسحاق الدباس،وهو أحد أمراء الوالي إلى الشاه محملا بالهدايا من سيده لأجل الشاه ..لكن الشاه لم يبدي إعجابه بهذا لأنه كان يأمل أن يأتي باريك بنفسه،حيث حمل إسحاق رسالة إلى سيده وهي أن الشاه في غنى عن هدياه،وأنه كان يأمل قدومه بنفسه ويبدي طاعتهفإن فعل نال عطف وإن حصل العكس فسينال جزاءه ،وهنا أبدى باريك ظاهرا طاعته للشاه أما باطنا فقد أخذ يعد القوة ويتعد للطوارئ كان ذلك ببناء القلاع وجمع المؤونة وفرض ضرائب ثقيلة على الأهلين في بغداد وحواليها، وفي هذه الأثناء كان عزم الشاه إسماعيل يزداد على فتح بغداد وعين لهذه المهمة أحد قواده حسين بك لالا(لاله)، وجعله مقدما على جيش كبير ثم تحرك هو بعده ولما وصل الخبر إلى باريك وفضل الفرار على الكفاح فأخذ جواده وعبر جسر بغداد ليلا وتوجه الى مدينة حلب[2] .

وبعد فرار والي بغداد باريك، تسهل الأمر على الشاه إسماعيل للدخول إلى بغداد، وكان له ذلك بتاريخ 25 جمادى الثانية 1508م، وقد فرح السواد الأعظم بقدومه,وأخذ الأهالي يقدمون القرابين والذبائح،إكرأما له وبعد إحتلاله بغداد، قام بهدم ما كان فيها من قبور وأئمة أهل السنة وذبح جماعة من علمائهم وعمل على إنهاء ومحي المذهب السني أينما تواجد في بغداد[3] ، وبهذا طويت صفحة أخرى من صفحات بغداد، وإنصغت بصفة نهائية في أواخر 1508م[4].

(1)عباس العزاوي المحامي، موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين"الحكومات التركمانية " ج3 ،الدار العربية للموسوعات، ص346.

(2)العزاوي المحامي، المرجع السابق ج3 . ص ص 346، 347

(3)مجموعة باحثين، الصفوية التاريخ والصراع والرواسب، ط1، مركز مسار للدراسات والبحوث، الإمارات العربية المتحدة، ص68 .

(4)ستيفن هيملسي لو نكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تر،جعفر الخياط،ط6، 1985م،ص 349.

ولا يسعنا أن نمضي دون تبيين هذه الواقعة بالنصوص التالية :

" في سنة 1508م أرسل الشاهإسماعيل جيوشا لا تحصى تحت قيادة لالة حسين للاستلاء على بغداد، فهرب باريك منها إلى حلب فدخلها اللالة، وفي عقبه وافت الشاه وهذا قرب المدينة التي هي مهد مواقد أئمة الدين والمشايخ المصطفين، وقتل في أهل السنة وأتقياء الأئمة، ومن ثمة توجه لزيارة النجف وكربلاء وأمر بحفر النهر، وتجد يده وهو النهر الذي حفره وأتمه عطا ملك،ألا أنه بمرور الأيام قد إندثر، فجدده الشاه ومن ثم سمي بنهر الشاه ...."."،فتح بغداد وفعل باعلها النواصب ذوي العناد لم يسمع بمثله قط سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حيث نبش موتاهم من القبو،ر ثم توجه إلى الاهواز وكوزستان وشوشترودزفول وقتل من فيهم من المشعشعين واستأسر منعهم خلقا كبيرا ثم سنة 1508م توجه إلى شيراز "[1] .

2-معركة جالديران 1514م:

تمثل حملة 1514م بداية حروب جد طويلة في أغلب الأحيان، وهذه الحروب هي التي سيتقابل فيها السلاطين العثمانيين والشاهات الصفويين في ساحاتها حتى القرن الثامن عشر ميلادي[2] .

أ)الأسباب والمعركة:

بعد أن جلس السلطان سليم على كرسي العرش العثماني، وتخلصه من إخوته تفرغ لالا الشاه الصفوي إسماعيل ومن جهةأخرى كان المماليك في مصر قد أخذ موقفا سلبا من الصفويين، وهذا ناتج من خطورة التهديد الصفوي لمتلكاتهم في بلاد الشام والحجاز، فكان للمماليك أن يعقد إتفاقا مع العثمانيين ضد إسماعيل في عام 1513م, وبذلك كان لسلطان سليم الحرية في جمع القوات ضد الصفويين دون خوفه على جناحه الجنوبي من أي هجوم مفاجئ وفي هذه الأثناء أراد سليم أن يحصل على فتوى من شيخ الاسلام صاري جوريز وهو على مرجع ديني في الإمبراطورية العثمانية تمكنه من إخراج الشاهإسماعيل وأتباعه من الجماعة الإسلامية، لأنه قد تحدى حدوده في

(1)العزاوي المحامي، المرجع السابق، ج3، ص349.

(2)روبيرماىتران،تاريخ الدولة العثمانية، تر، بشير شباعي، ط1،ج1،دار الفكر للدراسات والنشر وتوزيع، القاهرة، 1993م، ص210.

التعامل مع الرجال والنساء المسنيين، ومن ثم فإن هذه الفتوى تضفي الشرعية على دخول في حرب ضد الشاه, ومنه بردا الاستعداد لهذا الغرض، وكانت الاستعدادات على قدم وساق.[1]

وفي أغسطس 1514م قرر سليم الزحف لإرغام الشاه إسماعيل على خوض القتال دفاعا عن عاصمته، لكن الشاه إسماعيل فضل التراجع عن القتال، لولا ضغط قبائل القزلباش التي غضبت لإتهامها من طرف العثمانيين لها بالجبن وأرادت القتال، وهنا وقعت الموقعة الفاضلة في سهل جالديران في منتصف الطريق بين أذربيجان وتبريز[2] ،وقبل هذا فإن السلطان قد إجتمع بقيادة جيشه ورجال دولته، وأراد توعيتهم بضرورة هذه الحرب، والبث فيهم الحماس والتفاؤل بالنجاح، وخطب فيهم قائلا:"إن العالم المسيحي ماانفك يتربص بنا، وإن كان الآن مخبئا فهو يراقبنا من ثقب الباب متحينا الفرص للانقضاض علينا، ولا ندري أي خطر يحيق بنا لو إنقسم الناس إلى مذاهب في الفترة الحرجة ....من المؤسف أن نجمه القبائل التركية اموالها ومتاعها، وتذهب بها حتاجة إلى هذا الملعون، وكأنهم ذاهبون إلى مكة أو المدينة، لقد أراق هذا الملعون دم أهل السنة وإستحل أموالهم وسبا نسائهم، ومع ذلك تعتبر هذه القبائل مكانه كعبة بل وصل الأمر بهم لدرجة السجود كلما ذكر اسمه "وكان الخطاب لغرض تبيين أسباب المعركة، فالسلطان لم يكن مبالغا فيما قال، فإلى هذا الحد كانت الدولة الصفوية شوكة في ظهر العثمانيين، لابد إقتلاعها وإنهاء وجودها لما تشكل خطر على الإسلام ولذا كان الضروري أن يقوم السلطان بحملة تطهير واسعة قبل أن يمضي إلى القتال حيث لا يطعن في الظهر[3].

ب) نتائج معركة جالديران 1514م

✓تمت بإنتصار العثمانيين على الصفويين وهزيمة الشاه إسماعيل، وقتل والي بغداد وأمراء كثيرين، ومن العرب نحو عشرة ألاف ...

(1)د/محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانيةفي العصور الوسطى،ط1،القاهرة ،2002 م ،ص 60 .

-د/إسماعيل أحمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيريات، 1997م، ص17.

(2)أحمدعبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1993م، ص80.

(3)د/محمد عبد اللطيف هريري، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في إنتشار المد الإسلامي في أوروبا، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987،ص52.

✓هذه الحرب هزت النفوذ الإيراني وأضعف شأنه وخيبت أماله حيث أنها من بواعث إحتلال إدارة العجم، فالعراق وتزعزع مكانتها إلى إن صارت للعثمانيين .

✓وكان من نصيب السلطان سليم الإستلاء على خزائن الشاه وأمواله وخيمه ونسائه.

✓جاء في تاريخ راسم،أن هذه الحرب أدت إلى هذا التبريز وعدا الغنائم التي أخذت، قام بإختيار نخبة من أرباب الصناعة نحو ألفأستاذ سيرهم معززين الى إستانبول[1] .

✓لم تحقق معركة جالديران نهاية حاسمة للحرب فالعثمانيين بإنتصارهم هذا، لم يوقف الصفويين عند حدودهم ولم يضع حد لنشاطهم العدائي ضد الدولة العثمانية .

✓إستلاء السلطان سليم على شمال العراق ثم عاد إلى إستنبول، ليعد العدة لقتال المماليك[2] لأنه أحس خيانتهم، وهذا من خلال سلوكهم أثناء حربه مع الشاه.

✓موقعة جالديران كانت من الأسباب التي حدت بالعثمانيين إلى قتال المماليك[3].

أما على الصعيد الصفوي فقد كان لموقعة جالديران وما تلاها من تطورات سياسية وعسكرية نتائج مهمة نذكر منها :

✓أدى إنسحاب سليم الأولإلى إستمرار قوة الشاه إسماعيل في داخل العراق.

✓كانت سببا في إهتزاز مكانة الشاه فالعراق، مما كان سببا لأن تكون جسم الدولة العثمانية فيما بعد.

✓رغم تعرض الشاه للهزيمة القاسية إلا أنه لم يستسلم بسهولة، وراح يلملم قواته وأخذ يقوم بمناوشات خفيفة على الحدود الغربية إبان إنشغال سليم الأول في بلاد الشام و مصر.

✓كان لسياسة الخنق الاقتصادي التي يمارسها السلطان سليم الأول ضد الدولة الصفوية سببا في جعل الشاه يبحث عن حليف قوي، وكان هذا الحليف القوى البرتغالية النشطة على البحار[4].

---

(1)العزاوي المحامي، المرجع السابق،ص349.

(2)المماليك: صنف من العبيد أصلهم من الأتراك والحراكسة والمغول استقدمهم الأوربيون للخدمة العسكرية تمكنوا من إنشاء دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية.

(3)د/ هريري، المرجع السابق، ص ص، 53، 54.

(4)د/ صباغ، المرجع السابق، ص134.

وكنتيجة لهذه الحرب أيضا تحقيق الدولة العثمانية أهدافا اقتصادية وإستراتيجية على جانب كبير من الأهمية، فقد زادت مواردها الإقتصاية وإستفادت من خيرات الغنية الموجودة في مصر والشام والحجاز، وحصلت على قواعد عسكرية جديدة وخاصة المطلة على السواحل البحر الابيض المتوسط والبحر الأحمر حتى أضحى البحر المتوسط بحيرة عثمانية[1].

(1)هريري، المرجع السابق، ص55.

المبحثII: تطور الصراع العثماني الصفوي على العراق من 1524م إلى 1736م

المطلب الأول :المرحلة الأولى 1524م -1588م :

1 - حملة السلطان القانوني للعراق ومواجهاته للشاه طهماسب الأول.

2 -فترة الهدوء النسبي في صراع الطرفين على العراق 1576م 1588م.

المطلب الثاني :المرحلة الثانية 1588م –1736م:

1 -الشاه عباس الأول وتجدد الصراع القوي 1588م 1629م.

2 -البوادر الأولى للحكم العثماني على العراق.

3 -الصراع على البصرة 1642م – 1700م .

4 - حالة العراق أيام أحمد باشا و حملة نادر خان على العراق 1729م .

●المطلبالأول:المرحلة الأولى من 1524م–1588م:

أ–حملة السلطان القانوني للعراق ومواجهاته للشاه طهماسب الأول:

أخذت تتسارع الأحداث بين الدولتين في ظل حكومة السلطان سليمان القانوني 1520م-1566م من الجانب العثماني، وحكومة الشاه طهماسب الأول 1524م-1576م من الجانب الصفوي، وقد كان المحرك الأول لهذه الأحداث قبل تولي الشاه طهماسب الحكم الصفوي[1]، حيث جرت العادة على أن ينهي حكام المسلمين بعضهم البعض عند تولي الحكم، لكن الشاه إسماعيل لم يهنئ السلطان القانوني بتوليه الحكم وكان ذلك إعلانا من الشاه عن عدم الصفاء بين الدولتين، ثم تطور هذا الشعور إلى توتر بعد إرسال الشاه لوفد يتكون من خمسمائة شخص للتهنئة بفتح رؤس1523م،،ولم يسمح السلطان إلا بدخول عشرين منهم إلى العاصمة وإحتجز الباقين في اسكدار[2].

وتولى الشاه طهماسب, الحكم بعد وفاة والده عام 1524م وعمره آنذاك عشرة سنوات هذا الأخير لم يغير من سياسته تجاه الدولة العثمانية بل سار وإّنتهج منهاج والده وبذلك لم تتحسن العلاقات بل زادت سوءا في هذه الفترة إلى أن الصلحبين الطرفين في 155م.

1–دخول الشاه طهماسب الأول إلى بغداد في 1530م:

تسلم الشاه طهماسب الأول الحكم الصفوي خلفا لوالده عام 1524م،في بداية عهده دخلت الدولة الصفوية مرحلة صراع إستمر نحو العشر سنوات ,لم تهدأ خلالها الجبهة الصفوية – العثمانية–.

بتولي الشاه طهماسب الحكم ظهرت نوايا السلطان سليمان العثماني العدائية تجاه الصفويين من خلال رسالة وجهها إلى الشاه الصفوي، يذكره فيها بحملة السلطان سليم ضد بلاد الفرس (فارس)، وفي رسالة ثانية مؤرخة منتصف رمضان (يوليو) 1525م يطلب السلطان فيها من

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص155.

(2)د/ هريري، المرجع السابق، ص63.

خسروباشا، حاكم ديار بكر العثماني ,كسب ولاء الأكراد ,وإيواء العلماء الهاربين من بلاد الفرس، لكن ذلك لم يحدث لإنشغالها بصراعها مع الأوربيين[1].

هذه الرسائل تدل على تبيين السلطان النية لمجابهة الصفويين ومواصلة ما أنجزه والده، والسير على خطاه في صراعه مع الصفويين والذي تحول و..... من حدود الدولة الصفوية، ليبدأ بشكل واضح على بلاد العراق وفي أراضي بلاد الرافدين.

في خضم هذه النوايا البائسة، ظهرت نية وطمع في حكم بغداد من طرف الأمير ذو الفقار إبن نخودة سلطان رئيس قبيلة موصلو منى عشيرة كلهور الكردية، وهو نائب الشاه فيها آنذاك، وحاصر بغداد أربعين يوما قام بها ضد عمه إبراهيم حاكم بغداد وإستولى عليها سنة 1524م وأسسها دولة كردية وأحسن السيرة والتعبير[2].

في هذه الفترة كانت الظروف غير مواتية لمجابهة الصفويين لذو الفقار ولإقامة دولته الكردية في بغداد لصغر سن الشاه طهماسب منجهة، إضافة إلى إنشغال السلطة العثمانية بحروبها مع أوروبا، وتحديدا مع المجر، حيث خاضت مع المجريين معركة موهاج 1526م، التي تبعها حصار لمدينة فيينا 1529م من جهة أخرى هذا ما أطال عمر الدولة الكردية لمدة ستة سنوات تقريبا، لكن تخوفا من التصادم مع القوات الصفوية قام الأمير ذو الفقار بإرسال وفد للسلطان القانوني في عام 1529م للدخول تحت الحماية العثمانية, ونتيجة لذلك دعى السلطان على منابر المساجد و صك النفوذ بإسمه وتم تسليم مفتاح بغداد من قبله للسلطان القانوني[3].

سماع الشاه طهماسبلما قام به الأمير ذو الفقار بتسليمه للسلطان مفاتيح بغداد، هم بالإستعداد لإسترجاعها وأعد العدة وذلك سنة 1530م، فإستعد ذو الفقار هو الآخر وتحصن في بغداد، فحاصرها الشاه أياما، حتى عجز عن إستردادها لحصانة أسوارها فإضطر الأخير لإستعمال الحيل

(1)على إبراهيم درويش، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية 1501م -1576م، ط1، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2013م، ص133.

(2)على الظريف الأعظمي، تاريخ الدولة الفارسية في العراق، مطبعة الفرات، بغداد، 1927م، ص103.

(3) د/ نوار، المرجع السابق، ص43.

والخداع، حتى تمكن من إغراء أخوي الأمير ذو الفقار وأطمعهما بالمناصب والأموال فإغتالا أخاهما وقتلاه وقيل إنه مات مسموما[1].

هذا دليل على مدى رغبة الأمراء في ذلك الأوان في تولي المناصب العليا والحكم حتى لو كان ذلك على حساب روابطهم وعلاقاتهم العائلية،هذا ما كان يشغله بشكل دائما كلا الجانبين العثماني والصفوي في هذه البلاد.

ثم فتح بغداد للشاه الصفوي من قبل الأخوين فدخلها في السنة ذاتها، وفي رواية أخرى حسب ما جاء في مذكرات الشاه عباس الأول بن طهماسب الأول بن إسماعيل بن حيدر الصفوي، في مذكرات الشاه طهماسب أنه دخل المدينة في 10 حزيران /يونيو 1529م[2].

بدخول الشاه بغداد سلمت له المدن العراقية، لكنه مشى على خطى والده أعاد أعماله في دار السلام من إضطهاد السنة والفتك بهم،كما ولى على بغداد "بكلو محمد خان " وفوض إليه شؤون البلاد وعاد الى "تبريز" مقر الدولة الصفوية[3] ، وظل رجاله في العراق يضطهدون أبناء السنة ويحكمون بما تشتهيه نفوسهم، مما حمل السلطان القانوني على الانتقام من الصفويين وأعادة حقوق أبناء مذهبه وايقاف مجازر الشاه طهماسب، الذي أتم ما بدأه والده وسار على خطاه في اضطهاده وتخريبه لبلاد العراق ولأهلها السنة .

2-أسباب حملة السلطان القانوني على بغداد 1534م:

إن إستلاء الشاه طهماسب الأول على بغداد 1530م، كان بمثابة تحدي واضح للسلطان القانوني خاصة أنه تسلم مفاتيح من ذو الفقار الذي كان حاكمها بعد تمرده على الشاهوإعلانه ولاءه للعثمانيين، فإعتبرها القانوني من ممتلكات الدولة العثمانية، وإعتبر دخول الشاه إليها تعدي على ممتلكاته فكان هذا الحدث الشرارة الأهم لبداية إستئناف المواجهة العسكرية بين الطرفين يعد هذا الدافع الرئيسي إضافة الى عدة دوافع أخرى أهمها:

(1)الأعظمي، المرجع السابق، ص104.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص155.

(3)د/ نوار، المرجع السابق، ص43.

1) أثناء إنهماك العثمانيين مع النمسا جرى إتصال سري بين الصفويين والمجريين أسفر عن تعاون الطرفين ضد العثمانيين العدو المتكافئ لكليهما[1].

2)هددت سيطرت الصفويين على بغداد عام 1530م، الطرق التجارية بين الشرق و أوروبا بشكل خطير، بفعل أن العراق كان يربط هذه الطرق وبتالي تهديد المصالح الإقتصادية العثمانية.

3) إستياء العثمانيين من محاولات الصفويين إثارة القزلباش في الأناضول مقتفيا بذلك خطى والده الشاه إسماعيل الأول[2] .

4)كان السلطان القانوني منذتوليه الحكم يواجه ضغطا من قبل حاشيته ومستشاريه ،يحثونه على إنقاذ بغداد من أيدي الصفويين من بطشهم على أهل السنة المتواجدين في العراق،خاصة "بغداد" وبواجب تعمير مرقد الإمام الأعظم "أبي حنيفة" الذي هدمه الشاه إسماعيل، أثناء دخوله للعراق عام 1508م إضافة إلى تذكير الأعوان له بوجوب إكتساح الإيرانيين بالنار والسيف على طريقة والده السلطان سليم الأول[3].

5) إضافة إلى الأهمية الإستراتيجية لبغداد و البصرة التي تليها ذات المنفذ البحري على الخليج العربي الفارسي، بعد أن ضعفت التجارة على المتوسط عموما خاصة بعد إكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح[4].

6) إدراك السلطان القانوني أهمية الحرير وطرقه كسلاح سياسي ضاغط وبدل من منع تجارته وحظر العبور به ، على الطريق الخاضعة للسيطرة العثمانية كما فعل والده السلطان سليم الأول ، حيث إستخدم الحصار التجاري كسلاح من أسلحة الحرب ضد الصفويين ، ولجا إلى مصادرة البضائع الفارسية من أيدي التجار العرب والترك والفرس وحرم إستراد الحرير الفارسي وبيعه ، فقد

(1)عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون 1516م -1914م، ط1، دمشق،1974م ص ص، 66 -67.

(2)محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران من 1501م -1736م، ط1، دار النفائس، بيروت -لبنان -، 2009م، ص94.

(3)د/ علي الوردي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث "من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن 19م"، ج1، ط1، إنتشارات الشريف الرضى، إيران، ص52.

(4)د/ صباغ، المرجع السابق، ص156.

لجأ السلطان القانوني إلى خوض حروب ضد الشاه للضغط باتجاه الاستفادة من مناطق إنتاج الحرير الفارسية و تجارة المحيط الهندي خاصة في تبريز والعراق[1].

7)تأمين ظهر الدولة العثمانية أثناء حروبها في أوروبا ، بعدالإتفاق الصفوي البرتغالي ونفوذ الأسطول البرتغالي في الخليج العربي وتهديد الأماكن المقدسة.

8)موقف ذو الفقار خان حاكم بغداد الذي تمرد على الصفويين وإتصل بالعثمانيين كان من أسباب العلة[2].

9)إستياء العلاقة بين الطرفين بعد لجوء "علامةخان" أمير أذربيجان وأحد الأمراء الصفويين إلى الدولة العثمانية ’ولجوء "شرف خان" الوالي العثماني على تبليس ، إلى الدولة الصفوية منجهة أخرى فما كان من العثمانيين إلى أن عينوا الأمير الصفوي والي اعلى تبليس بعد هروب واليها العثماني[3].

بشكل عام كانت الأهداف للحرب عام 1534م، شبيهة بالأهداف التي أدت إلى قيام السلطان سليم بغزو إيران قبل ذلك بعشرين عام، فهي حرب وقائية تجارية سياسية ومذهبية على العراق وعلى أي حال كان دخول الشاه طهماسب إلى بغداد عام 1530م وإستغاثة حكامها بالسلطان القانوني سببا مباشرا لزحف القوة العثمانية على إيران ثم الوجهة الأساسية بغداد عام 1535م، وبتالي كانت السهولة في تحرير فتوى لمحاربة الصفويين .

3- دخول السلطان القانوني لمدينة بغداد 1534م:

إنتقل"اولام تاكو" الوالي الصفوي على أذربيجان مع بعض أفراد قبيلته عندما خاب أمله في الترقب داخل الإدارة الصفوية[4]إلى الأراضي العثمانية، ومثل أمام الباب العالي حيث تمكن من

(1)كوثراني، المرجع السابق، ص89.

(2)goseph von hammer , histoire de l’empire ottomion : de puis son orgigine jusqu’à nos jour, vol 5 , paris, 1995, p203.

(3)هريري، المرجع السابق، ص63.

(4)درويش، المرجع السابق، ص134.

إغراء "إبراهيم باشا" حيث عينه السلطان واليا على بدليس (تبليس) بعد الخيانة التي قام بها "شريف بك" الوالي العثماني على تبليس وإنتقاله لجبهة الشاه طهماسب الأول[1] .

أرسل السلطان سليمان الأول على إثر ذلك وزيره الأول (الصدر الأعظم) إبراهيم باشا لمحاربة هذا العاصي، والسير بعد ذلك إلى مدينة تبريز عاصمة الفرس فسار إبراهيم باشا أوائل خريف 1533م إلى تبليس وما إن وصل حتى وجد أن المهمة التي جاء من أجلها قد قضيت[2] .

حيث في 21 أكتوبر وصل شمس الدين بن حاكم أذربيجان حاملا رأس شريف بك وإنظم للسلطنة العثمانية، فسار إبراهيم باشا إلى مدينة حلب وأمضى فصل الشتاء بها، وفي أوائل الربيع إتجه إلى تبريز وفتح بطريقه الحصون والقلاع المجاورة ووصل تبريز ودخلها عام 1534م وجعل بها حامية عثمانية[3]، بذلك مهد الطريق للسلطان العثماني لدخول تبريز ومنها التوجه إلى وجهته الأصلية بغداد وكان هذا الحدث القطرة التي أفاضت الكأس التي فتحت الطريق لبدأ المواجهة بين الطرفين بشكل واضح وبارز .

في أواخر سبتمبر إلتحقت قوات السلطان القانوني بقوات الصدر الأعظم متخذا المحور الشمالي "قونية–قيصرية–سيواس–ارض الروم" ودخل تبريز وعند مكوثه القصير بها ....العطايا بسخاء[4]، وبدأ بإعداد العدة وتوجه لبغداد في أيام الخريف الأولى عام 1534م، وكله عزم وإصرار على إعادة ونصر أهل مذهبه السني فيها .

أ– الدخول لبغداد 1534م:

جاء الدخول لبغداد بعد الإنحدار من تبريز عاصمة الصفويين نحو الجنوب من المناطق الغربية من إيران حيث كانت الجيوش الإيرانية تنسحب من أمام الجيش العثماني مرحلة بعد أخرى حتى وصل إلى همذان ليتجه غربا نحو بغداد[5] .

(1)مانتران، المرجع السابق،ص223.

(2)لونكريك ، المصدرالسابق ، ص32.

(3)المحامي، المرجع السابق، ص222.

(4)لونكريك، المصدر السابق، ص32.

(5)د/ الوريدي، المرجع السابق، ص53.

لكن هذا الزحف عانى الجيش العثماني من ويلات الطبيعة والمناخ، خاصة من شدة البرد وكثرة الأوحال إنعكس هذا على الحالة النفسية والمادية للجيش حيث خشنت الأنفس وإهتزت النفوس والثقة في تحقيق الحلم من جهة، ومن جهة أخرى تم إحراق مجموعة من العربات المدفعية وترك مئات الحيوانات لكن لم يدم طويلا حتى أطل هذا الأخير على السهول العراقية فنال الراحة وتنفس الصعداء.

يبدوا أن وصول السلطان القانوني على رأس جيشه ومعه المدافع إلى سهول العراق بعث الرهبة في قلوب الحامية الإيراني بقيادة "بكلو محمد خان"، فقد كانت تلك أول مرة يسمح أهل بغداد فيها بالمدافع، وربما إنتشرت المبالغات بينهم عن هذا الإختراع العجيب وما يمكن أن يأتي به من أفاعيل في التدمير[1] .

فهرب حاكمها "بكلو محمد خان " إلى إيران بطريق الحيلة في 28 تشرين الثاني 1534م[2]، ووصلت أنباء فراره إلى السلطان وهو على بعد عدة مراحل من بغداد فأرسل الصدر الأعظم قبله الذي دخل دون مقاومة، وأغلق الأبواب منعا للنهب وخيم الجيش شمال المدينة[3]، ثم بوصول السلطان فتحت له أبواب بغداد فدخلها بإستقبال عظيم في 31 ديسمبر 1534م دخلها بالتهليل والترحيب ثم فتحت الجيوش العثمانية مدينة الموصل[4]، في سنة 1535م ودانت المدن العراقية الوسطى ثم الجنوبية لهم[5] .

أقام السلطان سليمان القانوني أربعة أشهر في بغداد بعد أن ظفر بمفاتيحها قام خلالها بتنظيم الأمور الإدارية المالية والقضائية لولاية بغداد خاصة والعراق عامة، كما قام بجولة تفقدية شملت مختلف المناطق مدن الحلة زار خلالها الأماكن الدينية ومراقد الصحابة والأولياء فيها.

---

(1) د/ الوريدي، المرجع السابق، ص55.

(2)طقوش، المرجع السابق، ص97.

(3)لونريك، المصدر السابق، صص37، 38.

(4)الموصل :هي ثاني أكبر مدن العراق، تقع شمال العراق، سميت بالموصل لأنها تصل بين الجهات الأربعة، الشمال، الجنوب، الشرق، الغرب، كانت ضمن الولايات العثمانية لمدة طويلة حيث دخلها القانوني 1534م وحاول الدخول إليها نادر شاه 1733م .

(5)الأعظمي، المرجع السابق، ص106.

إهتم السلطان القانوني بصفة بالغة بالأماكن المقدسة في العراق حيث أول ما قام به زيارة قبر الإمام أبي حنيفة مؤسس المذهب الحنفي، وأمر بإعادة بناء القبر الذي خربه الصفويون الشيعة وأمر ببناء جامع كبير بجواره،إضافة لزيارته قبري الإمامين موسى الكاظم وعبد القادر الجيلالي وعمل قبات لها إضافة لزيارته العتبات المقدسة في الفرات الأوسط النجف وكربلاء[1]، وزار مقامات أهل البيت وأمر بترميم قناة الحسينية[2].

لقد وجد السلطان مدينة كربلاء المقدسة بين أيدي الفيضان إذ كان الفرات الفائض في الربيع يغمر الوصاد حول البلدة، فأمر برفع مستوى "روف السليمانية" وهو صور يبنى بالسليمانية ليحمي المدينة، ثم وسع الترعة المعروفة بالحسينية وزاد في عمقها لكي تأتي بالماء بإستمرار ولجعل الأراضي خالية المغبرة حولها بساتين وحقول قمح ثم زار قبر الإمام على بالنجف وقفل عائدا لبغداد.

حظي السلطان بأعماله هذه محبة الشيعة وجزيل الشكر وثناء له وذلك ليظهر حسن نيته تجاه الشيعة المتواجدين بالعراق ولكسب تأييدهم له وبذلك أثبت قدمه فالعراق ويعتبر ذلك من بين الخطط الإستراتيجية التي يمشي عليها الساسة والسلطان والملوك، فكسب ود ومحبة سكان البلدان المفتوحة هذا يفتح الباب أمامهم ليثبتوا وجودهم وتدعيم قواعدهم في البلد، وهذا يوضح أن تجديد الزعامة السنية على العراق لا يصاحبها اضطهاد ديني أو مذهبي بل على العكس فقد إنتهج العثمانيون سياسة التسامح وقدموا الحماية للشيعة من سكان العراق كما قدموا لليهود والنصارى في البقاع العراقية التي دانت لهم، فعرف السلم والازدهار العثماني في العراق.

أمامنناحية الإدارة فقد قسم السلطان العراق إلى أربعة ولايات هي:بغداد، البصرة، الموصل وشهرزور، حيث كانت الثلاثة الأولى بمثابة مراكز وكان ولاة بغداد يعينون من إستنبول أما

(1)النجف وكربلاء: - النجف: إحدى أبرز مدن العراق تقع في الجنوب الغربي لبغداد لها قدسية عند المسلمين وخاصة الشيعة كونها مرقد أول الأئمة علي بن أبي طالب ومسجد الكوفة، تحتوي على عدة معالم تاريخية إسلامية.

-كربلاء: تقع في الفرات الأوسط، أهم المدن المقدسة لدى الشيعة، تقع جنوب بغداد تحتوي على عدة معالم تاريخية إسلامية.

(2)ديك قايا، كربلاء في الأرشيف العثماني دراسة وثائقية 1840م -1876م، ط1، دار العربية للموسوعات، بيروت، 2008م،ص28.

الولايات الأخرى فيعينون من قبل إستنبول بإقتراح من والي بغداد وكانت الإمارات والعشائر الكردية تنتشر في إيالتي "شهرزور"و "الموصل"أماالعشائر العربية ففي ولايات بغداد والبصرة[1]والأحساء ،وقد إعترف العثمانيون بالعصبيات الحاكمة وشيوخ العشائر في مناطق الأكراد أو مناطق العرب[2] .

كانت ولاية الموصل تغطي الجزء الشمالي الغربي من العراق، وتحدها من الغرب والشمال إيالة الرقة وديار بكر والصحراء الشامية وهي همزة وصل بين ولاياتالعراق وولايات الأناضول وولايات الشام وإمتازت بوجود الإقطاعات العسكرية فيها بكثرة[3] .

أماإيالة شهرزور "كردستان" فإنها لم تعمر طويلا وذلك لعدم قدرة السلطات العثمانية من السيطرة عليها بسبب حكم العصيات المحلية فيها، فترك العثمانيون أمر كردستان لإمرائه لكن تحت إشراف ولاية بغداد، حيث كانت كركوك مقر هذه الإيالة،أما في أقصى جنوب العراق وجدت ولايتي البصرة والأحساء ولم تقسما إلى إقطاعيات عسكرية، فقد عسكرت بالبصرة قوات إنكشارية ووضعت بها قطع عثمانية بحرية رغم ذلك لم تهدئ أوضاعها وصعب على ولاة بغداد التحكم بها[4] .

أما ولاية بغداد هي أهم الولايات العراقية كان الباشا بها صاحب لمرتبة الأولى حيث كانت أكبر مركز ثقافي واقتصادي وكانت تأخذ على عاتقها حماية باقي الولايات العراقية، كان الوالي على رأس الجهاز الإداري ومعظم الولاة كانوا من حاشية السلطان فكان عليه أن يرسل الأموال المقررة عليها سنويا إلى الباب العالي، وكانت الإنكشارية في أوقات السلم مكلفة بأعمال الشرطة وبجمع الضرائب وكان منهم أعضاء في ديوان الولاية[5] .

---

(1)البصرة: هي ثالث أكبر مدينة في العراق، وهي المركز الإداري والسياسي تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية شط العرب، وهي العاصمة الإقتصادية للعراق دارت فيها معارك بين العثمانيين والصفويين.

أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1،دار صادر،بيروت ،1977م ،ص ص 430 -440.

(2)نوار، المرجع السابق، ص7.

(3)نفسه، ص ص7 -8

(4)علي الظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، 1927م، ص ص 128 -130 .

(5) د/ العزاوي، المرجع السابق:ج4، ص ص 189 -196.

كان الديوان الحكومة العليا لكن يعين أعضائه الوالي، وكان من بين أعضاء الديوان القاضي الدفتردار يعينا من الأستانة،إستطاع أن يحد من تلاعب الولاة بمال الدولة، يلاحظ أن الوالي لم تكن له مطلق السلطة حيث كان يشاركه فيها كل من القاضي الدفتردار، قواد الانكشارية والشعب وإمتاز ولاة بغداد بأن السلطان منحهم حق عزل ونصب باشوات الإمارات الكردية، لكن كان أمر هذه الإمارات والعشائر العربية، يعود لشيوخها فكانت لسلطة الدولة العثمانية ضعيفة في هذه الإمارات والعشائر عكس ذلك في المدن فقد كانوا يمثلون القوة الناشرة والحامية للإسلام[1] .

هذا توضيح مختصر لتنظيم السلطان القانوني للعراق إداريا وجغرافيا وكيفية تسيير الولاة لولايتهم بعد هذا نعود لأيام الحملة، وكيف دخلت البصرة تحت السلطة العثمانية .

ب–الدخول للبصرة 1538م:

تعد البصرة مدينة ذات أهمية إستراتيجية بالغة، فهي تقع في أقصى جنوب العراق على الضفة الغربية لشط العرب، وهي تطل على الخليج العربي فكان ميناء البصرة يخضع للسيطرة الصفوية يوم مجيء السلطان سليمان القانوني للعراق حكمها آنذاك الشيخ راشد بن مغامس، فقد حضي بالنفوذ والسلطة بها فقد كانت له الخطبة وتضرب السكة باسمه، لكن يدفع إتاوة سنوية لحاكم بغداد فبدخول السلطان العثماني لبغداد خضع له حيث أرحل ابنه مانع عام 153م–1539م ليعلن ذلك فثبته السلطان على حكم البصرة بشرط أن تكون التبعية من خطبه وسط النفوذ باسم السلطان القانوني[2] .

غير أن هذا التثبيت لم يدم طويلا، فقد تمرد الشيخ راشد على هذا الأخير فأرسلت إليه حملة عسكرية بقيادة إلياس باشا ثاني كحام بغداد بعد سليمان باشا ثاني حكام بغداد بعد سليمان

ج5، ص ص 103 -193

(1)د/ نوار، المرجع السابق، ص ص 8 -11.

(2) د/ عمرعبد العزيزعمر ، تاريخ الشرق العربي 1516م -1922م، دار النهضة العربية، بيروت، 194م، ص 93.

باشا عام 1546م[1]،فبعد بضعة معارك تمكن العثمانيون من قمع هذا التمرد ودخلوا البصرة في 10 ديسمبر 1546م ففر حاكمها وحاشيته إلى الإحساء[2]، فتحول بذلك جنوب العراق إلى إيالة عثمانية حيث خفض الضرائب وأدخل العثماني العام الأراضي فأصبحت بذلك البصرة قاعدة بحرية وعسكرية ثانية للسلطة العثمانية بعدد السويس في البحار الجنوبية.

أما في ما يخص نشاط الصفويين فقد أشعل الشاه طهماسب وجود السلطان القانوني في بغداد فإستعاد مدينة تبريز في 5 كانون الأول فإضطر السلطان للقيام بحملة اخرى فغادر بذلك العراق في 28 مارس 1535م، متوجها لتبريز ودخلها السلطان في 5 تموز 1535م ومكث بها خمسة عشر يوما ثم غادها عائدا إلى الأستانة التي وصلها في 8جانفي 1536م[3]، بذلك إنتهت هذه الحملة التي دامت حوالي عامين من 1534م-1536م حيث ضم بلاد العراق الأوسط والجنوبي للسلطنة العثمانية لكن لاتنتهي المواجهة بين السلطان والشاه بنهاية الحملة بل تجددت بين الطرفين حيث قام السلطان القانوني بحملتين على بلاد الصفويين .

ج- الصراع على مناطق الأطراف:

شكل التحرك النشط الصفوي بإتجاه الأناضول دافعا للسلطان القانوني للعودة مجددا إلى بلاد الفرس، حيث بقيت الدعاية لبث المذهب الشيعي بشرقي الأناضول قائمة،إضافة إلى الصراع داخل العائلة الصفوية، وكان الدافع الرئيسي أو الشرارة التيأيقضت هذه المواجهة من جديد محاولة الصفويين نشر مذهبهم بالقوة في شروال، الواقعة شمالي أذربيجان المعروف أن الشاه طهماسب بسط سيطرته على شروان عام 1539م بعد أن قضى على حاكمها[4] "شاه روخ" الذي تمرد عليه وتوقف عن دفع الأموال له فعين أخاه القاص مبرز حاكما عليها حيث كانت شروان أهم

(1)د/ أحمد زكريا الشلف، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516م -1914م، ط1،مصر العربية للنشر والتوزيع، 2002م، ص33.

(2)محمد سهيل طقوش تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى إنقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013م، ص213.

(3)نيقولاي إيقانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516م -1573م، يوسف عطا الله،ط1، دار الفرابي، بيروت، 1988م، ص 90.

فاضل بيات، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ج1، م،أ،ف، إسطنبول، 2010م، ص356م.

(4)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص ص 214 -215.

البلاد المنتجة للحرير وكان القاص مبرزا طموحا فتطله العرش الصفوي، فنشب بذلك خلاف بينه وبين أخيه الشاه وأعلن إستقلاله في الإقليم، وجهز الشاه حملة ضد أخيه التى إنتهت بالمصالحة عن طريق الوالدين لكن سرعان ما عاد القاص مبرزا وأعلن إستقلاله التام من أخيه حيث خطب لنفسه في منابر المساجد وسك النقود بإسمه فأعاد الشاه حملة أخرى على القاص هزمه بها وإستعاد الشاه شروان وعين إبنه إسماعيل حاكمها[1].

وبدأ التدخل العثماني في هذه الحادثة بلجوء القاص مبرزا للبلاط العثماني وإستنجد به ضد أخيه الشاه، فلبى السلطان النداء وقرر مهاجمة إيران لوضع حد لطموحات الشاه طهماسب، فتوجه السلطان على رأس جيشه برفقة القاص ودخل شروان منتصرا، ليتوجه إلى تبريز بناءا على إلحاح القاص فدخلها هي الاخرى في تموز 1547م بعد إنسحاب الشاه منها، دامت بهذه الحملة عشرين شهرا لم يصطدم فيها السلطان بشكل مباشر مع قوة الشاه لإنسحاب هذا الأخير الدائم من المواجهة. لكن سرعان ما ساءت العلاقة بين القاص ميردا والسلطان العثماني بسبب أعمال القاص في بغداد، فأصدر السلطان أمر المواجهة فهام القاص في البلاد إلى أن تم القبض عليه من طرف أخيه وقتل في 1548م[2] .

لقد تجددت المواجهة بعد إنتهاء قضيت القاص مبرزا مرة أخرى في 1553م حيث أعاد الشاه تنظيم صفوفه وإلتف الناس حوله داخل إيران للدفاع عن المذهب الشيعي، وعهد إلى مجموعة من القادة الصفويين تسيير الجيش منهم "عبد الله خان استاجلو ""حسين قولي بك" "زياد او علي"[3] .

حيث بدأت المواجهة في أواسط الربيع 1554م فدخل العثمانيون مدينتي "وان" و"صجوان" التي تقع على الساحل الشمالي لنهر الرس وإضافة إلى جنوبي أذربيجان، وضيقوا على الشاه الصفوي الذي إستعاد بدوره كل من شروان وأجزاء من أرمينيا[4].

(1) طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الأنقلاب على الخلافة، ص 99.

(2)العزاوي المحامي، المرجع السابق، ج4، ص ص 67 -68.

(3)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص215.

(4)طقوش، تاريخ العثمانيين، ص100.

كان من الممكن أن تدوم هذه الحرب إلى مالا نهاية وليس لها نتيجة سوى إحداث الخراب إلا أن الطرفان أدركا ذلك الوضع فتوجها إلى الصلح الذي تم في 1555م تحت إسم صلح أماسيا .

ب–فترة الهدوء النسبي في صراع الطرفين على العراق 1576م–1588م:

اعتبرت الفترة الممتدة من 1576م وفاة الشاه طهماسب الأولإلى غاية إعتلاء الشاه عباس الكبير حكم عرش الدولة الصفوية 1588م فترة هدوء نسبي بالنسبة لصراع الطرفين على العراق حيث لم تشهد هذه الفترة أي حملات من الطرفين على العراق، ولم تتطاول أي من الدولتين على ممتلكات الأخرى في بلاد العراق لكن تعتبر هذه الفترة مهنة في تاريخ الصراع على العراق حيث حدث فيها عدة تغيرات في الحكم بالنسبة لكلا الطرفين،أثرت فيما بعد على مجريات الصراع فدخلت إيران في مرحلة إضطراب شديد وفوضى وهو الظرف الذي إستغله العثمانيون لإقتطاع أراضي شاسعة من إيران.

1–الصراع الداخلي على العرش الصفوي:

إهتز العرش الصفوي عقب وفاة الشاه طهماسب الأول بسبب نشوب النزاع بين الأسرة الحاكمة، حيث إنقسمت على نفسها بين سنة وشيعة السنة بزعامة بريهان إبنة الشاه طهماسب التي ساندت توليت الشاه إسماعيل الثاني[1] والشبعة التي دعمت الشاه حيدر إبن الشاه طهماسب الذي كان من المفروض توليه العرش الصفوي وذلك حسب وصية والده، وهو الأمر الذي لم يوافق

(1)هريري، المرجع السابق، ص ص 70 -71.

عليه أمراء القزلباش[1] ،حيث منعوه من الخروج من القصر أو الإتصال بأتباعه فتنكر بزي إمرأة وحاول الهروب متخليا عن حلمه في الملك لكن أكتشف أمره وقتل، وبذلك إنتهى هذا الأمير كمنافس قوي لإسماعيل في الصراع على العرش الصفوي[2].

المعروف أن الشاه إسماعيل الثاني كان مسجونا لمدة عشرين عأما من 1557م الى 1576م في قلعه قهقعة الحصينة،وقد سجنه والده فيها لإبعاده عن ممارسة الحكم باكرا بسبب قسوته وعناده، وبعد التطورات التي حدثت بوفاة والده خرج من سجنه وتولى العرش الصفوي في 22 آب 1576م، توج بقزوين تحت إسم إسماعيل الثاني لم يدم حكمه سوى ثمانية عشر شهرا وسلم الروح لبارئها عام 1577م[3].

زاد السجن من قسوة وعناد الشاه إسماعيل إضافة إلى تأثره بقانون العثمانيين "قانون نامه" الذي يقضي لسلطان الحاكم التخلص من إخوته، وما حققته هذه الظاهرة من إستقرار سياسي فسار هذا الأخير على النهج المذكور ولم يمضي سوى فترة قصير حتى قتل جميع اخوته .

ماعدا محمد خدابنده لأنه كان أعمى ولم يرى فيه منافسا على العرش الصفوي وجميع أولاد هذا الأخير باستثناء أكبرهم حين وعباس، قد أظهر الشاه عداءه وكراهيته للمذهب الشيعي، فقد أغفل ذكر شعائرهم على ما ضرب من النفوذ وحظر بسبب الخلفاء الثلاثة الأولين على المنابر' وانتقد نفي مجالس العداء المذهبي بين السنة والشيعة، وأبعد عددا من علماء الشيعة المتشددين عن بلاطة وقرب بالمقابل علماء السنة منهم مخدوم شريفي، بعد مدة وجيزة من ولادة إبنه البكر قضى الشاه نحبه وذلك على إثر مؤامرة دبرتها أخته بريهان وعدد من القادة القز لباش وتوفي في 24 تشرين 1577م، عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عأما,، ففي فترة حكمه لم تحدث أي حروب مع الدولة العثمانية[4] .

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص140.

(2)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص111.

(3)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران،ص112.

(4) -كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1924م، ص501.

- طقوش، تاريخ الدولة الصفوية إيران .ص ص 112 -114.

ولى قادة القزلباش الشاه محمد خدابنده الإبن الأكبر للشاه طهماسب الأول العرش الصفوي في 12 شباط 1578م, حين توليه الحكم كانت الدولة الصفوية في فوضى عارمة، نجمت جراء المجازر التي ارتكبها الشاه اسماعيل الثاني بحق إخوته وسائر الامراء[1] .

فشهدت مزيدا من التفكك في ظل حكم الشاه محمد خدابنده بسبب سوء إدارته وتدخل النساء خاصة زوجته في شؤون الدولة وتزاحم القادة القز لباش على مناصب القيادة .

2-العلاقة الصفوية العثمانية في ظل هذه الفترة 1578م -1588م:

إتسمت العلاقات الصفوية العثمانية في عهد محمد خدابنده بالعدائية وذلك للشعور العدائي الذي يكنه الشاه ضد العثمانيين،ضنا منه أنهم وراء النزاع الذي حدث على الحكم من جهة، ورغبة السلطان مراد الثالث 1574م-1595م من جهة أخرى في التوسيع العثماني بالشرق على حساب الدولة الصفوية .

1) إنهيار السلطة المركزية في إيران بفعل ضعف الشاه الذي سمح لزوجته "خير النساء مهد عليا" وبعض الأمراء بتسيير أمور الدولة أدى هذا إلى إنقسام القادة القزلباش وأفرغت مناطق الأطراف من حمايتها .

2)شجع إنهيار السلطة المركزية في إيران الجانب العثماني للقيام بإجتياح آخر لولايات الأطراف والاستلاء على مناطق إنتاج الحرير[2].

3)هجوم الإيرانيين على إحدى قوافل الحرير العثمانية أثناء خروجها من جيلان[1] .

(1)نفسه، ص ص 115 -116.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص111.

حل إثر هذه الأحداث كتب "خسرو باشا"، والي أرض روم إلى الدولة العثمانية بعلمها بالأحداث، وبحرصها على دخول بلاد العجم "بلاد الصفويين" فعين السلطان مراد الثالث لالا مصطفى باشا قائدا على رأس الجيش، وسار نحو بلاد الفرس[2] .

ثم تقدم الجيش العثماني الى مناطق الحدود وإصطدم بقوة صفوية بجوار قلعة جلدير، وتغلب عليها ثم واصل تقدمه حتى وصل بلاد الكرج[3]، وفتح هذا الإقليم, دخل عاصمته عام 1578م[4].

حاول الصفويون في عزة انقسامهم ,وقف التمدد العثماني, أرسلو أربع فرق عسكرية ،بأمارة "حمزة ميرزا"[5]. هاجمت شروان فإضطر واليها "عثمان باشا" إلى إخلائها وإحتمى بمدينة دربند "التي تسمى باب الأبواب وتقع على بحر الخرز" ثم حاول دخول مدينة تفليس بعد أن حاصرها، لكنإرتدت عنها بفعل ثبات حاميها[6].

تعرضت الدولة العثمانية في غضون ذلك سياسية عنيفة عندما قلص نفوذ الصدر الأعظم محمد باشا صوقللي، ثم قتل 1579م حيث أدار سياسة البلاد بنجاح في وجه العواصف السياسية التي واجهها .

(1)د/ هريري، المرجع السابق، ص71.

(2)الميرالي إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، تق: حسين الزين، دار الفكر الحديث، لبنان، 1988م، ص123.

(3)بلاد الكرج: قسمت بلاد الكرج إلى: شروان، تفليس، بلاد الكرج الأصلية ودينة قارص، الأقسام الإدارية شروان وتفليس، وعين على كل قسم حاكم، كما حصنت مدينة قارص نظرا لمكانتها الإستراتيجية، حيث أصبحت من أمنع الحصون والمعاقل على حدود الدولة العثمانية –محمد فريد بيك المحامي، المرجع السابق، ص262.

(4) -بروكلمان، المرجع السابق، ص69.

- أوزتونا، ج1، المرجع السابق، ص400.

(5)ميرزا: لقب خاص بأبناء الملوك إيران، اللفظ الفارسي أصله "ميرزادة" معناه "ابن الأمير"، أنظر: سهيل صابان المعجم الموسوعي للمصطلحات التاريخية العثمانية.

(6)أوزتونا، ج1، المرجع السابق، ص404.

عمت فوضى بعد ذلك بالدولة العثمانية بفعل ضعف حلفائه وتمرد الإنكشارية تابع "عثمان باشا" أعماله التوسعية، فسار على رأس الجيش قاصدا أذربيجان فإخترقها، ثم قصد تبريز دخلها في 25 أيلول 1585م، بعد إنتصر على "حمزة مبرزا"وترك بها حامية عسكرية ليعود بعدها إلى عاصمة العثمانيين[1].

إستمرت هذه النزاعات بين الطرفين قرابة ستة سنوات إلى أن تم صلح "معاهدة" إسطنبول الأولى، التي قسمت الحدود بين الدولتين فتنازل الصفويون عن إقليم كرج وشروان ولورستان وجزء من أذربيجان ومدينة تبريز، وبقيت المناطق الأخرى للصفويين[2] .

خلال هذه الفترة نلاحظ أن نزاع الطرفين لم يكن على بلاد العراق وإنما كان عبارة عن توسيع الدولة العثمانية على الأراضي الصفوية، حيث بادرت هي الهجوم، والأخيرة قامت بالدفاع وصد الهجوم، حتى تم توقيع المعاهدة حيث إقتسمت الممتلكات بين الطرفين،و تم عزل الشاه محمد خدابنده من العرش الصفوي، وتم تولية إبنه الشاب عباس الكبير الذي عمر لفترة طويلة في الحكم، وعرفت تغيرات جذرية في الدولة الصفوية, من جميع النواحي ، كذلك عرفت عودة وتجدد الصراع القوي الصفوي العثماني على العراق في هذه الفترة .

-المطلب الثاني: المرحلة الثانية 1588م-1736م:

أ-الشاه عباس الأول وتجدد الصراع القوي 1588م-1629م:

إستمرت العلاقات بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية بشكل يسوده التوتر خلال نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، حيث تربع على العرش في هذه الفترة الشاه عباس الأول الكبيركقائد ورجل الدولة،أخذ على عاتقه إستعادة ما فقدته الدولة الصفوية من أراضي على الجانب الغربي من حدودها .

(1)محمد باشا صوقللي: شابّ الأصل ينتمي إلى الهرسك الذي مارس السلطة على السلطان سليم الثاني العثماني بدرجة تكفي لإيقاف وإزدياد الفوضى، حافظ على روح العظمة في التخطيط والحيوية في تنفيذ، أوقف الحرب مع النمسا سنة 1568م.

(2)طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى إنقلاب على الخلافة، ص242.

الواقع أن هذه العلاقات بين الطرفين تضمنها صراع قوي وإحتدت فيه المواجهات بين الطرفين فقد مرت أو قسمت على ثلاث مراحل عرفت وتميزت كل مرحلة بشراسةوقوة المواجهة وتباينت كفة الإنتصار وتأرجحت بينالطرفين.

1-المرحلةالأولى 1588م-1602م:

إتسمت هذه المرحلة بالتقدم العثماني وتراجع الصفوي وإستسلام الصفويين[1]حيث في هذه المرحلة حاول الشاه عباس الكبير في بداية حكمه دفع الخطر الأوزبكي من الشرق وكان ذلك ضروريا بحكم محاصرة الأوزبك لقلعة "هواة "

وحاول إنقاض المحاصرين حيث خرج على رأس جيشه قاصدا خرسان، فبخروجه من قزوينتم مباغتته بالهجوم العثماني على مناطق أذربيجان الولايات مما إضطره للعودة دون إنهاء مهمته فأدت الظروف الصعبة والمعقدة التي عانى منها الصفويين فالأوزبك من جهة والزحف العثماني من جهة أخرى,،أى حتمية عقد صلح بين الصفويين والعثمانيين فتحقق ذلك عام 1590م، وذلك من خلال إتفاقية إسطنبول التي ادخلت الطرفين في فترة هدنة مؤقتة[2].

2-المرحلة الثانية 1602-1616م:

عرفت بمرحلة الصراع المرير وإتسمت بالحروب داخل الأراضي الصفوية، فقد حرص الشاه في هذه المرحلة على إستعادة الأراضي التي كسبتها الدولة العثمانية.

أما العراق، فقام أولا بتنظيم جيش لغرض إستعادتها، فإستعاد أولا مدينة تبريز التي حفزت على مواصلة مهمته من جهة،إضافة إلى الظروف الداخلية لدولة العثمانية من جهة أخرى التي كانت عاملا مهما بالنسبة للشاه عباس كي ينقض معاهدة الصلح وذلك نتيجة لتحسن ظروفه الداخلية .

(1)طقوش، تاريخ العثمانيين منذ قيام الدولة، ص628.

(2)شرف خان البدليسي، شرف نامة، تج: محمد على عوني، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1958م، ص 558.

وإستغل الجيش الصفوي هذه العوامل، فإستطاع جيشه الحصول عليها في أرمينية وأذربيجان – قلاع نخجوان وإيروان– فإستطاع جيشه الحصول عليها في 8 ماي 1604م، وتم أسر الجنود العثمانيين الباقون بها[1] .

كما تميزت هذه المرحلة بعقد صلح سنة 1612م بوقف النزاع بين الطرفين التي أظهرت مجمل الحروب التي دارت بينهما[2]، فتقرر في هذه المعاهدة أن تكون كرجستان من نصيب الدولة الصفوية، الأمر الذي لم يرضى به حاكم كرجستان "طهمورث خان"، فأعلن عصيانه على هذه الأخيرة وأزاح حاكمها الصفوي، لكن عاد جيش الشاه وباغته سنة 1616م ليستولي على كافة كرجستان، مما إضطر طهمورث اللجوء إلى البلاد العثمانية,، وبهذا الحدث تم نقض المعاهدة من طرف الدولة العثمانية حيث جهزت حملة بقيادة طهمورث خان أعادت إليه كرجستان وإستعاد حكمها[3].

3–المرحلة الثالثة 1616م–1629م:

إتسمت بالتراجع العثماني والهجوم الصفوي البارز والشديد[4]، حيث بدت السلطنة العثمانية عشية تسلم عثمان الثاني عرشها في حالة من الفوضى والإضطراب في الداخل وعلى حدودها الشرقية والغربية[5]، فهكذا ومستغلا هذه الظروف نجح الشاه عباس بالظفر بالعراق، حيث قام العثمانيون بمحاولات متكررة لإستعادة بغداد، ففي عام 1625م حاول حافظ أأحمد باشا – الصدر الأعظم– للدخول المدينة، لكن إنسحب لقوة حصانة المدينة لكن سرعان ما إنتهز العثمانيون فرصة وفاة الشاه عباس الأول 1629م، فقام خسرو باشا –الصدر الأعظم–بحملة أخرى في نفس السنة، لكن باءت هي الأخرى بالفشل وإنسحب الجيش العثماني بعد العام الثاني من محاصرة بغداد اي 1630م[6] . وبذلك بقيت العراق تحت يد الدولة الصفوية في تلك الفترة

(1)جمعة، الشاه عباس الكبير، طبعة 1980م، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م،ص176.

(2)المحامي، المرجع السابق، ص280.

(3) د/صياغ، المرجع السابق، ص147.

(4)د/ طقوش، تاريخ العثمانيين منذ قيام الخلافة، ص 628.

(5)المحامي، المرجع السايق، ص229.

(6)د/ عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، 749هـ، ص196.

إلى أن جاء عهد السلطان مراد الرابع، ويمكن وصف العلاقات بين الطرفين في عهد الشاه عباس الكبير بأنها كانت بمجملها في صالح الصفويين الذي يختار السلم عند عجزه وينقضه ويبادر بالهجوم عند إستقرار وضعه .

ب–البوادر الأولى للحكم العثماني على العراق:

1–إعتلاء الشاه صفي العرش الصفوي:

تولى العرش عام 1629م–1642م فبدأ عهده بالقتل الجماعي، حيث قتل عددا كبيرا من أفراد عائلته الحاكمة نساءا ورجالا، وأعدم معظم القواد المستشارين العظام الذين أسهمو في بناء الدولة الصفوية[1] .

(1)فليب حتى، خمسة آلاف من تاريخ الشرق الأدني، م1، ط1، 190م، ط2، 1982م، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، ص85.

2-العلاقة الصفوية العثمانية في عهده:

تجددت العلاقات العدائية بين الصفويين والعثمانيين في عهد الشاه صفي وتركز الصراع بينهما على بغداد وأرمينيا، فقد إستغل السلطان مراد الرابع صغر سن الشاه صفي وجهز جيشه من أجل هذه الغاية سلم قيادتهللصدر الأعظم "خسرو باشا"[1] .

حيث سار هذا الأخير على المحور الجنوبي (قونية,،أضنة،أنطاكية، حلب، الموصل وشهرزور[2])،ثم تجاوزها إلى مريوان وفيها إكتسح الجيش العثماني الجيش الصفوي إكتساحا مكنه من دخول همذان[3] .

ليتجه الجيش بعد ذلك صوب بغداد وضرب حولها الحصار فترة وجيزة،هاجمه بعده لكن هذا الهجوم باء بالفشل لتصلب القوات الصفوية في الدفاع عن أنفسهم[4] .

فظلت العراق تخضع لدولة الصفوية خاصة مدينة بغداد التي حاول فيها العثمانيون مرارا وتكرارا للظفر بها دون جدوى إلى غاية الحملة الشرسة التي قادها السلطان مراد الرابع عام 1638م.

3-السلطان مراد الرابع والظفر بالعراق:

قام العثمانيون في الفترة الممتدة مابين 1629م الى 1638م بعدة محاولات لظفر بالعراق وإعادة إسترجاعها من السلطة الصفوية، لكن كل المحاولات باءت بالفشل رغم الحصار الطويل الذي كان يفرض على مدينة بغداد، وذلك لقوة وحصانة هذه المدينة من جهة وقوة الجيش الصفوي آنذاكمن جهة أخرى حيث بقيت سيطرة الفرس الثانية على بغداد إلى غاية 1638م.

(1)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص215.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص164.

(3)د/ العزاوي، المرجع السابق، ج4، ص ص 198 -199.

(4)د/ صباغ، المرجع السابق، ص164.

حيث تجرد السلطان مراد الرابع 1623م-1640م، لإسترداد بغداد مرة ثانية حيث جهز جيشا قويا وأعد العدة وانطلق لإتمام مهمته، فضرب حصارا على مدينة بغداد عام 1638م دام لمدة أربعين يوما تم فيها فرض حصار شديد على المدينة فجر خلاله أسوارها ودخلها عنوة وأنهى الحكم الصفوي بها، ونظم إدارتها وحقق انجازا عظيما ذلك الوقت شبيه بإنجاز جده الأكبر السلطان سليمان القانوي عام 1534م حيث نظم البلاد إداريا وعسكريا،ثم رجع إلى عاصمته، حيث عد إسترداده لبغداد عملا إستراتيجيا وحدثا خطيرا في موازين تاريخ القرن السابع عشر[1]. هكذا إنتهى الصراع الذي كان قائما بين هاتين الدولتين الإسلاميتين الكبيرتين منذ عهد السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوي بعقد معاهدة زهاب في 17 ماي 1639م، فتميزت الفترة التي تلت فتح بغداد بالهدوء النسبي وتركزت إهتمامات الإدارة العثمانية على المشاكل المحلية[2].

إتسمت العلاقة الصفوية_العثمانية بالودية فيما تبقى من عهد الشاه صفي وساد الهدوء جبهات القتال، وقد أدت العلاقة السياسة الهادئة بينهما إلى إمتصاص الأزمات المستجدة والطارئة، وكان الجانب الصفوي الأسبق في إستخدام الأسلوب السياسي الودي، تمثل هذا في تقديم الشاه صفي تعازيه للسلطان إبراهيم الأول جراء وفاة السلطان مراد الرابع، وهنئه بجلوسه على سدة الحكم[3].

ج-الصراع على البصرة 1642م-1700م:

بعد وفاة الشاه صفي تسلم العرش الصفوي إبنه عباس الثاني 12 أيار 1642م وعمره تسعة سنوات، وحكم تحت وصاية الصدر الأعظم "ميراز تقي إعتماد الدولة" كانت العلاقة الصفوية

(1)سيار الجميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1996م، ص ص 167 -168.

(2)د/ عبد العزيزعمر ، المرجع السابق، ص190.

(3)د/ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص ص 219 -220.

العثمانية جيدة في عهده، حيث تبادل الرسائل التهنئية من الطرفين حتى وفاة السلطان إبراهيم الأول 1648م وخلفه إبنه محمد الرابع[1] .

حدثت نزاعات بين السلطنة العثمانية وحسين إبن أفرسياب حاكم البصرة فالبصرة كانت مثار النزاع بين العثمانيين والصفويين مدة نصف قرن من عام 1578-1638م بفعل موقعها الاستراتيجي، بكونها منفذ الدولة العثمانية على الخليج العربي، بالإضافة إلى ما تحويه من مواد كانت تغطي جزءا مهما لإقتصاد الدولتين، وقد إتفق الجانبان خلال مفاوضات معاهدة زهاب على إقتسام ما كان مثار نزاع بينهما من مناطقها وجنح الجانبان إلى السلم الذي إستمر مدةثمانية عقود لم يعكر صفوها سوى بعض نواحي العراق.

دخلت البصرة بعد ذلك في عهد حاكمها علي بن أفرسياب، عهدا جديدا عقب وفاة الشاه عباس الأول، فقدة سعى خليفته الشاه صفي إلى التقرب من الإمارة الأفراسيابية لتجنيدها في صراعه مع العثمانيين في الوقت الذي كان فيه السلطان مراد الرابع يستعد لإستعادة بغداد،وقد تركت سياسة التقارب هذه أثرا سيئا في نفس السلطان، الذي ما إن فرغ من إستعادة بغداد حتى زحف إلى البصرة للقضاء على الأسرة الأفراسيابية، لكن غزارة الأمطار التى هطلت في تلك السنة عرقلت جهوده العسكرية وحملته على تأجيل مشروعه إلى وقت آخر[2].

عندما توفي على بن أفرسياب خلفه إبنه حسين في ظل معارضة عميه "أحمد بك" و "فتحي بك "، ما أتاح الفرصة لدولة العثمانية لمهاجمة الإمارة للقضاء على هذه الأسرة، ففي غمرة الصراع الأسري طلب العمان المساعدة من الدولة العثمانية فأمر السلطانمراد الرابع والي بغداد "مرتضى باشا" بمهاجمة البصرة فأعلن حسين عندئذ الثورة على العثمانيين وذلك عام 1653م، حاصرت القوات العثمانية المدينة ثم دخلتها وفر حين إلى أأصفهان ملتجأإلى الشاه عباس الثاني , فأرسل السلطان العثماني وفدا إلى الشاه عباس في عام 1657م أثناء الحملة العثمانية الثانية على حسين

(1)د/ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص 221.

(2) -نفسه، ص 224.

أفرسياب، حيث طلب منهم عدم مساعدة حسين في سعيه العودة إلى البصرة، فأكرم الشاه مبعوث السلطان وأجاب طلب[1].

إعتلى أحمد بك حكم الإمارة الأفراسيابية في البصرة غير أن عهده إتسم بالظلم وإبتزاز الأموال فثار السكان عليه وعاد حسين لحكم البصرة مرة أخرى، فإنتقم هذا الأخير من محمد باشا والي الأحساء، الذي لعب دورا في تحريض عميه ضده فتمكن من طرده من ولاية أحساء، هذا جعل الدولة العثمانية تشن حملة على البصرة في عام 1665م وضربت الحصار عليها، لكن فشلت في إقتحامها بفعل إستعانة حسين بشيوخ القبائل العربية وعلى رأسهم أمير الأهواز المشعشعي[2] .

أعدت الدولة العثمانية بعدها حملة أخرى نحو البصرة للقضاء على حسين أفرسياب ولكن هذا الأخير ما إن علم بقدوم الحملة حتى لاذ بالفرار إلى البلاط الصفوي .

كتب الباشا العثماني للشاه صفي الثاني الملقب بسلمان الذي حكم العرش الصفوي من 1666م-1694م وطالبه بحسين، ثم وضح له أن حمايته له يخالف البنود الصلح بين الدولتين فتخلى عنه الشاه وبذلك انتهى حكم الأسرة الأفراسيابية في البصرة[3] .

بزوال حكم آل أفرسياب عن البصرة، لم تنل هذه المدينة من إهتمام العثمانيين وذلك لضعف السلطة المركزية، علاوة إلى أن حكامها عجزوا عن وضع حد لتهديدات القبائل العربية التي كانت تقطع طرق المواصلات التجارية خاصة طريق البصرة، بعد أن هاجم المير المتفق " مانع الثاني ابن مغامس " البصرة عام 1694م، وكان واليها أحمد باشا "عثمان زادة " فإنهزم هذا الأخير، ما فتح المجال للأعراب بنهب أثقال الباشا وسفنه، فسعت السلطة العثمانية إلى تحسين العلاقة معه، خصوصا أنها غير متفرغة بسبب حروبها مع النمسا[4].

(1)د/ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص 224.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص167.

(3) -نفسه، ص197.

(4)المحامي، المرجع السابق، ص309.

لكن فرج الله المشعشعي الذي دعم مانع إبن مغامس لدخول البصرة، إنقلب عليه وأعد العدة للإستيلاء على البصرة وكان له ذلك، وأرسل مفاتيحها مع الشاه حسين الذي حكم في تلك الفترة العرش الصفوي بعد وفاة الشاه صفي الثاني (سليمان) حكم من 1694م-1722م الذي دفعها بدوره مع هدايا للسلطنة، وأقدم الشاه على ذلك رغبة منه في عدم إستفزاز الدولة العثمانية وتوريط دولته بحرب معها بعد تحررها من مسؤولياتها في أوروبة إثر توقيعها لمعاهدة "كارلو فتر" مع النمسا عام 1699م[1].

عرفت البصرة في فترة واليها "حسين" باشا" فسادا ونهبا من طرف قواته فاشتكىأهلهاإلى الشاه تعسف الجنود العثمانيين فأرسل الشاه وفدا للبلاط العثماني حاملا وموضحا ما حدث بالبصرة فعزل الوالي وأصدرت السلطنة أوامرها في سنة 1700م إلى البشوات بمهاجمة البصرة وإخراج حاكمها منها لتعود مرة أخرى للحكم العثماني , وأمام مساعي الدولة العثمانية لاسترجاع البصرة , لم تكن ردة فعل الجانب الصفوي سلبية ولم يتحرك الشاه ساكنا اثر ذلك لان في هذه الفترة كانت بداية النهاية لدولته , لذلك أرادت حفظ السلام بين الطرفين .

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص169.

د–حالة العراق أيام أحمد باشا ونادر خان:

لما تولى عرش إيران الشاه طهماسب الثاني وأسس في نفسه قوة، طلب من الدولة العثمانية أن تعيد إلى مملكته جميع البلاد التي أخذتها من أسلافه، من بينها بغداد، فقام بإسترجاع بعض البلدان وتوجه إلى العراق وإجتازت جيوشه الحدود ونهب القرى، ثم قصد بغداد سنة 1720م، وحدثت بينه وبين أحمد باشا أمير العراق عدة حروب كانت سجالا، وفي أثناء ذلك إسترد الأتراك تبريز التي كانت قد إستولى عليها الشاه، فلما علم بذلك أوقف الحرب وإنسحب من العراق وطلب الصلح وكادت تقرر شروطه، إلا أن نادرخان[1]عارض المعاهدة ومنه عادت الحرب بين الطرفين[2] .

هـ–حملة نادرخان على العراق 1729م:

بدأ بإسترجاع المناطق التى إستحوذت عليها الدولة العثمانية، فإستولى على الأهواز وهمدان ونهاوند وتبريز[3] ، وأعلن حصاره لبغداد فإستنجد أحمد باشا بالسلطان وظل مدافعا حتى جائته النجدات بقيادة الصدر الأعظم عثمان باشا الاعرج، وهنا إنتشر الأتراك قرب بغداد، وبعد مغادرة عثمان باشا لحقه الفرس فقتل هذا الأخير وإنهزمت جيوشه[4]، وفي هذه الأثناء اضطر الشاه طهماسب الثاني نتيجة خسارته إلى شراء سكوت العثمانيين بطلب الصلح، فأرسل مبعوثا هو صفي قولي خان إلى بغداد، تباحث معه في شأن الصلح، فقدم الإتفاق بينهما في عام 1772م، على توقيع معاهدة عرفت بمعاهدة أحمد باشا وعزل الشاه طهماسب بسبب توقيع هذه المعاهدة[5].

وبعد أن تولى عباس الثالث الحكم عام 1732م ولايزال رضيع تولى عنه الوكالة القائد نادرخان فطمع بالعراق، ودارت بينه وبين أحمد باشا حربا كما ذكرنا سابقا كانت نتيجتها أن جرح نادر خان، ولكنه أعاد الكرة على العراق وإنتصر على الأتراك، ولكن وبعد عقد الصلح بينهم

(1)نادرخان: هو القائد الأكبر للجيوش الفارسية.

(2)الأعضمي، المرجع السابق، ص 111.

(3) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص 246.

(4)الأعضمي، المرجع السابق، ص 112.

(5)طقوش، المرجع السابق، ص248.

وإسترجاع الفرس جميع البلدان التي كان الاتراك قد إفتقدوها، ماعدا العراق لم يتم إسترجاعها من قبل نادرخان[1].

وتوفي الشاه الطفل عباس الثالث عام 1736م، وأصبح نادرخان هو سيد البلاد وبعد وفاة الشاه طهماسب الثاني 1732م والشاه عباس الثالث 1736م.وسنوضح في الملحق الأول مسار هذا النزاع ,وبذلك إنتهىزمن الدولة الصفوية في إيران[2].

(1)الأعضمي، المرجع السابق، ص 112.

(2)محمود شاكر، التاريخ الإسلامي {العهد العثماني} ، ج8، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 393. - وأنظر الملحق رقم 1 ص ص79 -81 .

المبحث III : آثار وتداعيات الصراع العثماني الصفوي على العراق

المطلب الأول :المعاهدات المبرمة اثر الصراع :

1 -القرن 16 م .

2 -القرن 17 م .

المطلب الثاني : مواقف الدول الأوربية في الصراع العثماني الصفوي على العراق :

1 -البرتغال و اسبانيا .

2 - بريطانيا .

3 - روسيا .

4 – البندقية و جنوة.

المطلب الثالث : نتائج الصراع العثماني الصفوي على العراق.

المبحث الثالث

المطلب الأول: المعاهدات المبرمة إثر هذا الصراع:

I-القرن 16:

أ-معاهدة أماسيا 1555م :

1- بنود المعاهدة :

كان من جراء فتنة القاص "ميرزا" نتائج إيجابية من الجانب الصفوي، فقد نقل الشاه طهماسب مقر حكومته من (تبريز) إلى قزوين سنة 1512م، وهذا نتيجة أطماع العثمانيين إتجاه "تبريز"، كما جعلت الشاه طهماسب موضع ثقة لزعماء القزلباش بعد لم شملهم، ومن هذا بدأت عملية إعادة الاعتبار للدولة من الناحية الإستراتيجية، فكان لدولة الصفوية أن تستولي على شيروان وأجزاء من أرمينية، مما جعل السلطان يعد العدة لإسترجاعها[1]، بدأ بتهديد الصفويين بتدمير مدينتى "أردبيل "و"تبريز" كما جاء فالخطابات التي تبادلها ووزراءه من الجانب الصفوي، وكان غرضه من هذه التهديدات هو دفعهم إلى إبرام معاهدة صلح معه[2]. وذلك بعد أن عرض عليه الصدر الأعظم محمد باشا أحد أبرز قواد السلطان القانوني، في إحدى المواجهات الصفوية لغرض الإفراج عنه .وكان رد الشاه هو القبول على إبرام المعاهدة ووافق على شروط السلطان[3]. وأرسل أحد رجاله يدعى "فروخ زاد بك"إلى "أماسيا"حيث يقيم السلطان سليمان،محملا برسالة من الشاه كتبها بود وحميمية شديدة[4] .

وصل هذا الأخير إلى أماسيا يوم 10ماي 1555م ، وأستقبل من طرف مجموعة من قادة حاشية القصر،وعدد من الرقباء والموضفين، وكان هذا خارج المدينة، وأهدى له عدد من الجياد وبعض الهدايا الأخرى المتعددة، وهو بدوره كان محملا بالهدايا من أجل السلطان من: سجاجيد،خيام مطروة وأطقم الأحصنة، ونسخة من المصحف الشريف المذهبة . استقبل في الديوان السلطاني يوم

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص169

(2)فريدون أمجان، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، تر: جمال فاروق أحمد كمال، ط1، دار النيل، القاهرة، 2014م، ص374

(3) طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص ص 100 -101.

(4)أمجان، المصدر السابق، ص ص 374 -375.

21 ماي معلنا عن نوايا الحسنة ، وأعرب عن رغبته في إقرار السلام ثم أستقبل السلطان الوفد الصفوي الذي قدم له الهدايا ورسالة "الشاه طهماسب" وكانت الرسالة مزينة بأحد عشرة بيتا من الشعر ولقب السلطان ب "سلطان اليوم" و"حاكم العالم" ، كما جاء في الرسالة طلبات الشاه من السلطان ، حيث قدم للسلطان الهدايا السالفة الذكر من طرف الوفد الصفوي لدى مغادرتة الديوان العثماني ،ليستقبل مرة أخرى في 1 يونيو وسمح له بالرحيل بعدما أعطيت رسالة مختصرة موجهة إلى الشاه بشأن موافقة القانوني على عقد إتفاق سلام معه[1]، بعد إتفاق الطرفين على عقد المعاهدة وبعد موافقة القانوني لطلبات الشاه ، تم إبرامها سنة 1555م وسميت بإتفاقية أماسية ونصت على البنود التالية:

1-توضع ولايات: أذربيجان الشرقية وأرمينيا الشرقية وكرجستان الشرقية،تحت تصرف الدولة الصفوية،حيث توضع أرمينيا الغربية وكرجستان الغربية تحت تصرف الدولة العثمانية[2]. إضافة إلى العراق فتوضع تحت تصرفها كل من: البصرة،بغداد،شهرزو ،ووان،بتليس وأرض روم[3].

2-تكون ولاية قارص حدا فاصلا بين الدولتين .

3-السماح للحجاج الإيرانيين بالذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج وتأمين سلامة الحجاج الذاهبين لزيارة العتبات المقدسة الشيعية أيضا.

4-يحمل الطرفان على عدم إيواء كل من رجال الدولتين أو أفراد البيوت المالكة وفي حال لجوئهم يعمل الطرف الآخر على تسليمهم إلى حكومات بلادهم[4] .

وهذه الرسالة تبين مطالب الشاه التي أرسلها إلى السلطان القانوني وهذا جزء منها :

« ....ليكن باب التواصل بيننا مفتوحا على مصرعيه من لآن فلاحقا حتى يتسنى لنا أقرار السلام ،ويستطيع كلا الشعبين العثماني والإيراني وإقامة علاقة ودية بينهما ولنسمح للجميع بزيارة الكعبة

(1)أمجان، المصدر السابق،ص ص، 374 -375.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص181.

(3)أمجان، المصدر السابق،ص 379.

(4)د/ صباغ، المرجع السابق، ص182.

المشرفة ، وقبور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والأمام علي في النجف ،والأمام الحسين في كربلاء،وفي مقابل هذه المنحة سينشغل زائرو هذه الأماكن المباركة بالدعاء لكم ...»

وفيما يلي رسالة السلطان القانوني وما أورد فيها من ثلاث مواد التي فرضها السلطان وهي كما يلي: {..... 1/حظر كل أشكال السب واللعن التي يستخدمها الشيعة للنيل من الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي الأمين صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

2/ منع أمراء الولايات الحدودية من الإقدام على الاعتداء والإغارة على الأراضي العثمانية ما لم يتعرضوا لهجوم من الجانب العثماني .

3/ السماح للحجاج من أبناء قبائل القز لباش بأداء مناسك الحج في أماكن وسلام.....}[1].

2- تحليل بنود المعاهدة:

تمت أول معاهدة صلح بين الطرفين،ذلك لقناعة الدولة العثمانية من إستحالة قضائهم على الدولة الصفوية، علما أن الدولة العثمانية كانت في ذروة مجدها، وكذا قناعة الصفويين في عدم جدوى من الإستمرار في معاداتهم للعثمانين، ومن خلال هذه المعادة تم تسمية مناطق النفوذ مع الإشارة إلى الحدود الفاصلة بين الجانبين كحد متدفق عليه،هذه المعاهدة ساعدت كل طرف في إظهار رغبته لمعرفة ماله وما عليه، حيث لا يكون هناك مجال لتجاوز يرغم أحد الطرفين على إثارة الحرب من جديد والجدير بالذكر أن الصفويين حصلوا على الجهات القريبة منهم من مناطق الأطراف، وبذلك كان لهم تأمين حدود دولتهم من الناحية العسكرية، كما حصلوا على مناطق ذات الوفرة بإنتاج الحرير ، ذلك لتعويض ما خسروه أثناء الحرب، وفي الطرف الآخر حصل العثمانيين على مناطق إستراتيجية (أرمينية ،كرجستان والعراق) بذلك أصبح لهم مواقع أقدم من مناطق إنتاج الحرير الإيراني بعد أن إتسع نفوذهم في تجارة المحيط الهادي إثر ضمهم للعراق سنة 1534م.[2]

تجدر الإشارة أيضا إلى أن هذا الصلح مسمى الجانب العقائدي، لأن العثمانيون سمحوا للصفويين بالحج إلى العتبات المقدسة ومكة المكرمة، والمعروف أن سلامة الحجاج الإيرانيين كانت من أسباب

(1)أمجان، المصدر السابق، ص375.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص182.

النزاع بين الطرفين، لأن الإيرانيين إتهموا السلطات العثمانية الحاكمة ، والسلطات المحلية في العراق ، والعشائرالعراقية، بإبتزاز أموال هؤلاء الحجاج ومعاملتهم معاملة سيئة، مع أنه كان يحدث العكس، فالعثمانيون كانوا يعاملونهم معاملة حسنة نظرا للأستفادة المادية[1] .

إلا أن أوضاع العراق العشائرية كانت تضايق قوافل الحجاج والقوافل التجارية من دون تمييز وكان هذا يحدث أثرا سيئا لدى الإيرانيين ، وبموجب هذه المعاهدة تخلى الصفويون عن حقوقهم في العراق وإعترفوا به جزءا من السلطنة العثمانية، لكن هذا لم يدم طويلا فقد إنقلبت الأحوال بعد موت الشاه طهماسب الأول .

ولقد دامت معاهدة أماسيا نحو ربع قرن من الزمان حتى وقاه طهماسب ونشوب نزاعات في إيران والعراق، إذ ستشكل هذه المعاهدة أساس المعاهدات التي ستوقع بين الجانبين في المستقبل .

3-الجهود المبذولة للمحافظة على المعاهدة:

إتسمت العلاقة بين الشاه طهماسب الأول والسلطان القانوني بعد عقد الصلح بالهدوء، وكان الطرفان ينشدن لهذا الهدوء ليتفرغ كل منهما لمواجهة مشكلاته،لكن هذا الصلح تعرض لأول إختبار جدي ، وذلك على إثر التنازع الأسري في البلاد العثمانية بعد أن قام السلطان سليمان في عام 1559م بإجراء تغيير في تشكيلات أميريه بايزيد وسليم، حيث عزل لأول عن حكمه من أماسيا وعينه عليها {قونية} وعزل الثاني عن حكمه في {قونية} وعينه على أماسيا،هذا التغيير لم يوافق عليه بايزيد وقام بمهاجمة أخيه لمنعه من الوصول إلى أماسيا لكن هذاالأخير تعرض للإنهزام بعد مساندة السلطان لابنه سليم،مما دفع بايزيد إلى الفرار لإيران عن طريق أرمينيا برفقة أربعة من أبنائه وعشرة آلاف من جنده[2] .

ولجأ إلى الشاه طهماسب، لكن الشاه سلمه إلى أبيه سليمان، لأنه كان يرغب في المحافظة على صلح أماسيا كان هذا عام 1562م، بعد مفاوضات دامت عامين بين الطرفين نتج عنها تغيير في بنود الصلح، حيث تم الإتفاق على هدم قلعة قارص الواقعة بين ولاية أرض روم التركية وأرمينيا

(1)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في ايران ص102.

(2)نفسه، ص103

الإيرانية، وهذه القضية إنتهت بمقتل بايزيد وأبنائه، ومرت دون أن تأثر على العلاقة بين الطرفين[1].

وقد إستمرت العلاقة الجيدة بين الطرفين حتى بعد وفاة السلطان القانوني،توفي في أوائل شهر سبتمبر السلطان القانوني بعد أن إشتد المرض عليه عام 1566م عن عمر ناهز أربعة وسبعين سنة، أي بعد حصار مدينة سيجتوار بخمسة أشهر، حيث دامت مدة حكمه الإمبراطورية العثمانية ثمانية وأربعين سنة، قضاها في توسيع نطاق الدولة وإعلاء شأنها حتى بلغت أعلى درجات الكمال[2].

وقد أخفى الصدر الأعظم "سوكولو محمد باش" عن الرعية، وقام بإرسال رسالة إلى الأمير سليم الذي كان متواجدا في "كوتاهية" إلى إستنبول،وتولى عرش السلطنة[3]1566م-1574م.

وما إن تولى زمام الدولة حتى توافدت عليه التهاني من الشرق والغرب، وأرسل الشاه طهماسب الأول وفدا كبيرا ضم ثمانمائة رجل برئاسة "شاه قولي خان " مع هدايا نفيسة،استقبله السلطان الجديد وتسلم الهدايا منه وعند مغادرته تلقى منه رسالة ودية وهدايا للشاه طهماسب مرفقا بمصادقة على صلح أماسيا من طرفه[4]

على إثر استيلاء العثمانيين لجزيرة قبرص 1570م، سعى البنادقة إلى إقامة تحالف مع الصفويين ضد العثمانيين وذلك بإرسال مبعوث إلى الشاه طهماسب، الذي عرض عليه هذه المسألة إلا أن الشاه رفض هذا العرض وذلك إحتراما منه لعهد الصداقة التي تربطه بالسلطان سليم الثاني ولبنود صلح أماسيا[5].

أما آخر فصول هذا العهد فقد تمثل بوفاة السلطان سليم الثاني وجلوس إبنه السلطان مراد الثالث 1574م-1595م على العرش العثماني،حيث أعد الشاه طهماسب الأول وفدا رفيع المستوى

(1)درويش، المرجع السابق، 137.

(2)المحامي، المرجع السابق، ص 251.

(3)أمجان، المصدر السابق، ص446.

(4)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص104.

(5)د/ صباغ، المرجع السابق، ص184

برئاسة "تقماق خان استاجلو" حاكم إيروان" وبرفقته مئتين وخمسين رجل مع هدايا كثيرة، وحين مثل مبعوث الشاه بين يدي السلطان قدم له رسالة الشاه التي تضمنت تعازي الشاه بوفاة والده السلطان سليم الثاني وتهانيه للسلطان مراد.

كما تضمنت طلبا للشاه رجا فيه السلطان مراد أن ينتصر لابنه حيدر ميرزا ولى عهده بعد وفاته، وحصل على موافقة من السلطان مراد،فظلت المعاهدة سائرة المفعول إلى غاية وفاة الشاه طهماسب الأول في 1576م [1]،وبذلك إنتهت هذه الفترة الثانية من المواجهات العسكرية بين الطرفين لكن لم تكن نهاية أبدية للعلاقة بينهما .

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص185

ب – معاهدة اسطنبول الأولى 1590م :

1–أسباب إنعقاد المعاهدة :

يعود السبب الأول لعقد معاهدة إستنبول الأولى إلى إنكسار صلح أماسية الذي جاء إثر عدة عوامل أهمها:

1)إنهيار السلطة المركزية في الدولة الصفوية،لضعف الشاه محمد خذابنده، الذي سمح لبعض أمراء البلاد في تسيير أمور الدولة مع خير النسا بيكم مهد عليا "زوجة الشاه" الأمر الذي أحدث انقساما بين الزعماء القز لباش، جعلهم بين مؤيد ومعارض لهذه الحالة، فبأت الفوضى في أنحاء إيران وأفرغت مناطق الأطراف من حماتها القز لباش، نتيجة تصادم الأمراء فيما بينهم.

2)طرح مسألة إنهيار السلطة المركزية في إيران لدى الجانب العثماني فكرة إجتياح مناطق الأطراف، بعد أن أفرغت من حامياتها، للاستيلاء على المناطق المنتجة للحرير بعد أن أخذت بوادر التحولات الإقتصادية العالمية تنعكس سوءا على الإقتصاد العثماني[1] .

3)أفرز فشل العثمانيين في البحار ضرورة إجتياح إيران،لتأمين مورد إضافي للدولة كتعويض لها، بعد أن منيت البحرية العثمانية بخسائر فادحة،إثر معركة ليبانت 1571م[2].

أما السبب المباشر لإنكار الصلح فيكمن في تعرض إحدى القوافل العثمانية للنهب في زيخان[*]،أصدرت بعدها الدولة العثمانية أوامرها بإقفال الحدود،وفرض الحصار المتبادل على طول طرق القوافل عند مرورها عبر الحدود، فأصبحت الحاجة ملحة للحرب لتغيير الوضع القائم وبذلك نقض صلح أماسية بعد أن حرض "خسرو باشا" والي وان، الأكراد للهجوم على أراضي الدولة الصفوية ثم هاجم بدوره أذربيجان سنة 1578م[3].

---

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص 185.

(2)المحامي، المرجع السابق، ص256.

(3)د/ صباغ، المرجع السابق، ص180.

(*) زيخان:("جيلان") في بعض الكتابات، تقع في بلاد الليم جنوب بحر القزوين، شمال غرب إيران وهب البلاد الكثيرة فيما وراء ضرستان والعجم تقول "كيلان"، الحموي، ج2، المصدر السابق، ص201.

2-المعاهدة وبنودها:

إنتهز العثمانيون حدوث الاضطرابات في إيران خلال عهد كل من الشاه إسماعيل الثاني والشاه محمد خدبانده، فهاجموا الأراضي الإيرانية وإستولوا على مساحات شاسعة، فقد إستولى فرهاد باشا على قرباغ وضمها إلى كنجة الخاضعة له، ومد جعفر باشا حاكم تبريز سيطرته على جميع المناطق المجاورة للمدينة وحتى منطقة سراب، وتمكن جغال أوغله من التوسع على الجبهة العراقية حتى مدينة نهاةند وحدود لورستان، وبنى قلعة كبيرة في نهاوند[1].

لما إعتلى الشاه عباس الأول حكم إيران وجد نفسه يصارع على جبهتين الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب، فلم يستطع مواجهة الجبهتين في نفس الوقت فعمد إلى صلح من الجبهة الغربية أي مع العثمانيين ةةافق العثمانيون على مبدأ عقد الصلح.

أرسل الشاه عباس الكبير عام 1590م بعثة رفيعة المستوى إلى استنبول ترأسها "مهدي قولي خان" رافقه "حيدر ميرزا" مع مجموعة من الهدايا قاصدين الصلح، وحين وصول البعثة إلى اسطنبول أمر السلطان ببدأ مفاوضات الصلح.

وقد وافق السلطان على الصلح بدافعين :

1-فراغ خزائنه من المال، لعجز الدولة عموما نتيجة لعجز الرعية عن دفع الضرائب.
2-تكاليف الحرب الباهضة التي استمرت قرابة إثنتي عشر سنة[2].

دامت مفاوضات الصلح ستة أشهر، ثم توصل بعدها إلى صياغة معاهدة غرفت باسم معاهدة اسطنبول الأولى، تضمنت البنود الآتي ذكرها:

(1)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص164.
(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص186

1)تكون تبريز مع القسم الغربي لأذربيجان وإيالات (أرمينية، شكي، شماحي، شيروان، كرجستان، قرة باغ، قسم لورستان مع قلعة نهاوند) تحت تصرف الدولة العثمانية .

2)يتعهد الصفويون بعدم سب الخلفاء الراشدين (أبي بكر وعمر وعثمان) وأم المؤمنين عائشة –رضي الله عنهم أجمعين[1].

3)يبقى حيدر مبرزا،أخ الشاه عباس الكبير رهينة في إسطنبول كدليل على حسن النية،وعدم خرق المعاهدة.

4)يتعهد الطرفان بالإفراج عن أرى الحروب من كلا الجانبي[2]

5)يتعهد الطرفان بعدم إيواء الفارين من كلا الجانبين[3].

3–تحليل بنود المعاهدة:

الواضح من خلال دراسة بنود هذه المعاهدة أن الدولة العثمانية فرضت شروطها على الشاه عباس الكبير، فقد آلت بموجبها جميع مناطق إنتاج الحرير، بما فيها العاصمة القديمة تبريز إلى العثمانيين، ويعد ذلك إنجازا هاما ونقلة نوعية سيطروا من خلالها على معظم طرق المواصلات التي تمر عبرها التجارة الشرقية، أما إلى روسيا أو إلى البلاد العثمانية ومنها أوروبا عبر البحر الأبيض المتوسط[4].

تناولت المعاهدة الجانب العقائدي لدى الطرفين، حيث تعهدت الدولة الصفوية بعدم سب الخلفاء الراشدين وجاء ذلك إرضاءا للشعور الأسلامي العام، إضافة إلى التنازل المعنوي الذي قدمه الصفويون للعثمانيين وذلك حين نصت على أن يكون أمراء البيت الصفوي المالك رهينة لدى العثمانيين[5].أما البندان الأخيران فقد مثلا العلاقة السياسية بين الطرفين التي من خلالها يتم فتح باب الحوار لتجسيد علاقة هادئة بين الطرفين، والمعروف أن الصفويون أسروا عددا من القادة

(1)كوثراني، المرجع السابق، ص79.

(2)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص164.

(3)د/ صباغ، المرجع السابق، ص187.

(4)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص ص 164 -165.

(5)د/ صباغ،المرجع السابق،ص187.

الأتراك العثمانيين من بينهم مراد باشا، وسجنوهم في قلعة قهقهة في قراباغ، وفك الشاه أسرهم، وفي المقابل تم الإراج عن الأسرى الإيرانيين المسجونين لدى العثمانيين[1].

وقد حقق العثمايين بموجب هذه المعاهدة هدفين إستراتيجيين:

1) إيقاف الحملات العدائية التي كانت الدولة الصفوية تقوم بها ضد المذهب السني وضد الخلفاء الراشدين

2) تأمين جيهتهم الشرقية حتى يتفرغوا لمشكلاتهم في أوروبا[2].

وقد ساد الهدوء مناطق الحدود المشتركة بين الطرفين بما فيها العراق، ولم تحدث مناوشات أو حروب في هذه الفترة، حيث حرص الشاه عباس الكبير على إستمرار هذه المعاهدة من خلال إبقاء العلاقة الحسنة مع العثمانيين حيث عند وفاة السلطان مراد الثالث وخلفه أبنه محمد الثالث (1595م-1603م) أرسل الشاه وفدا للتعزية والتهنئة مكونا من ثلاثمائة رجل برئاسة ذو الفقار خان فرماتلو حاكم أذربيجان[3]،وضل الصلح ساري المفعول لمدة قرابة الخمسة أعوام من 1590م الى 1595م، مرت فيها بعدة تحديات إلى أن تم نقضها.

(1)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص165

(2)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص165.

(3)نفسه، ص 166.

II–القرن 17م

أ– معاهدة إستنابول الثانية 1612م:

1–بنود المعاهدة :

بعد الانتصارات الكبيرة التي حققها الشاه عباس الأول على الجيش العثماني بقيادة جغال أو علي، زإستعادة لكنجة سنة 1606م وتفليس، ونتيجة لإنتصارات الصفويين،لم يبقى أمام الصدر الأعظم درويش باسا إلا أن يدخل في مفاوضات مع الشاه عباس الأول[1] .

أرسل الصدر الأعظم رسالة إلى الشاه يقترح فيها أن يكتب رسالة إلى السلطان أحمد الأول بشأن عقد صلح بينهما، والواقع أن الحروب المتواصلة بينهما أنهكت قواتهما وإستنزفت مواردها وجعلت الصلح ضرورة ملحة، وفي هذه الأثناء كانت أوضاع السلطان أحمد الأول صعبة خاصة الاقتصادية، حيث ساهمت الرسائل المتبادلة بين والدته وبين عمه الشاه وقناعة الأطراف في عدم جدوى الحروب، وعقد الصلح.

فكانت النتيجة أن دفع الشاه بمبعوثه "قاسم بك"[2] لتوقيع الصلح في إستانبول 1612م الذي نص على مايلي:

(1)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ص ص 173 -174.

(2)قاسم بك: هو قائد جيش مازندان.

1) إعتراف الدولة العثمانية بحدودها التي كانت في عهد السلطان سليمان القانوني، كما طلب منها أن تتعهد بعدم الاعتداء على الأراضي التى إستولت عليها فيما بعد وبالمقابل يتعهد الشاه بسحب كافة القوات التي وضعها في بلادها بين النهرين، ويعيد كافة ما إستولى عليه منها إلى العثمانيين.

2) يتعهد الشاه عباس بإرسال مئتي حمل حرير سنويا إلى البلاد العثمانية، ومئة حمل من بضائع أخرى[1] .

3) أن يزول العداء لأهل السنة وأن يمنح الإذن لمن أراد المجيئ إلى هذه الأنحاء بإختياره فلا يرد ولا يمنع، وأن يؤذن لحجاج إيران المرور من طريق حلب والشام لا من طريق بغداد والبصرة حيث لم يكم الطريق فيها آمنا[2] .

4) تتعهد الدولة الصفوية بعدم حماية "هلوخان " حاكم شهرزور .

5) إعطاء الحرية لكل من مبعوثي الدولتين، تحديد الأراضي الخاصة بها.

6) منح حرية التجوال لقواد الجانبين في مناطق الجدود بغية تحديدها .

7) تتعهد الدولة الصفوية بعدم القيام بأي عمل إستفزازي عقائدي، كما التزمت بع زمن الشاه طهماسب[3] .

2-تحليل بنود المعاهدة :

إكتفى الشاه عباس الأول، على الرغم من طموحه،بالقدر الذي كان موضع خلاف مع العثمانيين على مناطق الحدود الإستراتيجية، الغنية بالحرير والمناجر المتنوعة، وبعد تحقيقه لهذه الطموحات وإستيلائه على هذه المناطق قام بطلب عقد الصلح فورا، لأنه كان يدرك بعدم حصوله على أكثر مما حصل عليه، لذلك صمن حدود قوته، وقد سعى على أن تكون بنود الصلح صالحة علة عكس الصلح الذي عقده في عام 1590م في بداية عهده[4].

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص190.

(2)العزاوي المحامي، المرجع السابق، ص ص 201 -202

(3)د/ صباغ، المرجع السابق، ص190.

(4)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص ص 175 -176.

جاء في هذه المعاهدة،قضية إقتصادية لم تتطرق إليها الدولتان فيما سبق من معاهدات وهي قضية دفع مئتي حمل حرير للعثمانيين، والتي فسرها الصفويون بأنها ترسل على سبيل الهدية، أما العثمانيون فقد فسروها على أنها جزية، والحقيقة تدعم الجانب الصفوي لأنهم مزجو بين بندي المعاهدة الأولى والثانية مقابل حصول الدولة العثمانية على مائتي حمل حرير[1]. سمحت هذه المعاهدة بسلوك الحجاج الإيرانيين الطريق (حلب دمشق) لما يتمتع بالسير الآمن على خلاف طريق بغداد البصرة[2].

ب–معاهدة سراب 1616م :

1–بنود المعاهدة :

جاءت هذه المعاهدة بعدة إنكسار الصلح بين الدولتين الذي كان في معاهدة إستانبول الثانية بسبب عصيان حاكم كاخت "طهمورث خان" على الدولة الصفوية لأنها ضمت كرجستان لها، ومن شروط هذه المعاهدة نذكر:

1) يرسل الشاه إلى السلطة من مئتي إلى ثلاثمئة حمل حرير كخراج سنويا.
2) يعيد الشاه سلطنة كل من (أذربيجانالغربية،أرمينية، قرة باغ، شيروان،كرجسان).
3) يرسل الشاه أحد أبنائه كرهينة، وتكون إقامته في إستانبول[3] .

2– تحليل بنود المعاهدة :

الشاه أعلن موافقته على شرط واحد وهو إرسال مئة حمل حرير على سبيل الهدية لا جزية، وبذلك تأزم الحال بينهما ودارت الحرب بينهما، لكم "خليل باشا" كان يدرك من عدم القدرة على مواجهة الصفويين،لأن ميزان القوى في هذه الأثناء قد رجح لصالح الصفوي،وأنه لابد من صلح جديد، فأرسل مبعوثة لأجل هذه الغاية، فوافق الشاه وتم تبادل مذكرات الصلح في منطقة

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص191.
(2)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ص176.
(3)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص177.

سراب، وخلصوا إلى بنوده، حيث صادق عليه الشاه ثم السلطان عثمان الثاني[1] . فتصمنت هذا الصلح االذي عرق بمعاهدة "سراب " مايلي :

1) نصت على أن تكون الحدود بين الدولتين كما نصت عليه معاهدة أماسية.

2) تبقى البنود(7.6.5.4.3.2.1) سارية المفعول من معاهدة إستانبول الثانية

مثلت هذه المعاهدة نقلة جديدة للعلاقات الدبلوماسية بين الجانبين وذلك حين تمت مداولة مذكراتها في منطقة سراب، على كعس المعاهدات السابقة التي كانت تتم في أراضي العثمانيين[2] .

ج–معاهدة زهاب في 17 ماي 1639م:

1–بنود المعاهدة :

تميزت هذه الفترة (1639م) لإنهاء الصراع الذي كام قائما بين هاتين الدولتين الكبيرتين، منذ عهد السلطان سليم الأول والشاه إسماعيل الصفوي، وذلك بعقد معاهدة هي معاهدة زهاب في 1639م[3].

نصت هذه المعاهدة على مايلي:

1) يكون للدولة العثمانية حكم كل من بغداد،جسان،بدرة،مندلي، درنة، والأراضي الواقعة غربي قلعة زنجير طريق شهرزور،وقلعة قولجة وتوابعها، وجميع القلاع في اخجة،وقارص,ووان، وشهرزور والبصرة،كما يناوب بالدولة العثمانية حكم قبيلتي ضياء الدين وهاروني الكرديين.

2) كما تخضع للدولة الصفوية القلاع الواقعة شرق مندلي،ودرتك،وبيرة وزردوكية وزمردهاوا، والغابات الواقعة شرق قلعة زنجير ومهرجان، وقلعتا كاكورد وماكور الواقعتان في أعالي جبل وان،وقلعة مغاذيرد في منطقة قارص[4].

(1)نفسه، ص178.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص193.

(3)عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص196.

(4)د/ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص219.

هنا يمكن القول أن هذه المعاهدة تعد بمثابة الركيزة التاريخية في تثبيت الحدود الأصلية والإقليمية بين العراق وإيران، خصوصا فالعمليات الجيوتاريخية لسلسة ما أعقبتها من معاهدات، لأنها أولى المعاهدات الواضحة التي جرت بين الدولتين،لتحديد الحدود بشكل دقيق وإن كان نسبيا، مع مراعاة لتضاريس الأرض،والنظر بموضوعية إلى العامل الطبيعي للبلاد[1].

د- معاهدة أحمد باشا 1732م:

1-بنود المعاهدة :

إزاء الإنتصارات التي حققها أحمد باشا وعلى باشا، لم يكن بيد الشاه طهماسب الثاني حيلة إلى اللجوء إلى عقد معاهدة صلح مع الدولة العثمانية أحمد باشا فتم الاتفاق بينهما سنة 1732م، تقرر بموجبها[2].

- يعد نهر الرس ودرنة ودرنتك وغيرها من الحدود القديمة حدا فاصلا بين الممتلكات العثمانية والإيرانية

- يتنازل الشاه طهماسب الثاني لصالح الدولة العثمانية عن مدن كنجة وتفليس ونخجوان وشماخي وداغستان، وبمعنى آخر عن معظم الولايات العربية الايرانية التى كانت الدولة العثمانية تطمه في ضمها إليها[1] .

(1)د/ صباغ، المرجع السابق، ص ص 195 -196.

(2)صباغ، ص214.

- تجيز الدولة العثمانية للايرانيين بزيارة العتبان المقدسة في العراق
- يتعهد الطرفان بإرسال سفراء مقيمين في كل من إستانبول وأصفهان
- تكون (تبريز، أردلان، همدان، الأهواز) للدولة الصفوية[2]

2-التعقيب على المعاهدة :

واجهت هذه المعاهدة الكثيرة من الاحتجاجات من كلا الجانين، فعندما صادق عليها السلطان محمود الأول استثنى تبريز حصة الصفويين، وإنقسم الرأي العثماني عضبا شديدا من الشاه طهماسب وعمل جاهدا على عدم تنفيذها وعلى عزل الشاه [3] .

المطلب الثاني: مواقف الدول الأوربية في الصراع العثماني الصفوي على العراق:

كان الصراع العثماني –الصفوي هو المحور الأساس للتقارب بين شاهات الدولة الصفوية وبين الدول الأوربية، وقد شهد التاريخ الكثير من تلك المؤامرات . بعد هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران أسرع للتحالف مع الدول الأوربية لتغطية الهزيمة التي لحقت به تلك الموقعة، فأقام علاقات معهم كانت تطمح إليها بحد ذاتها هذه الدول فرحبوا بهذا التحالف وسارعوا إلى تثبيت الصداقة والمودة، وبذلك فتح لهم المجال للدخول في الصراع القائم[4] .

1-البرتغال وإسبانيا:

بدأت العلاقة الصفوية مع البرتغال منذ عهد الشاه إسماعيل الأول، وذلك بعد أن أصبحت البرتغال تهدد هرمز[5] بعد وصولها إلى المياه الجنوبية في 1506م تحت قيادة البحار البرتغالي

(1)د/ محمد سهيل صقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص247.

(2)د/ صباغ، المرجع السابق، ص215.

(3)د/ طقوش، تاريخ الدولة الصفوية، ص248.

(4)عطرجي، المرجع السابق، د ص.

(5)هرمز: مدينة في البحر وهي ضفة البحر العربي، تابعة لإيران تعد ميناءا هاما لنقل أمتعة الهند إلى كرمهان، سجتستان وخرستان، ومن الناس من يسميها هرموز.

ألفوسنودي أليوكوك ميناء عدن، ثم إلى جزيرة هرمز ذات الموقع العام، على إثره قام السلطان الفوري بإعداد أسطول كبير أرسله عام 1508م إلى المياه الجنوبية بقيادة حسين الكردي، حيث دارت عدة معارك بين الأسطول البرتغالي والمملوكي دون أن يكسب أي منهما معركة حاسمة، ولكن إنسحاب الأسطول المملوكي من المياه الهندية وعودته إلى البحر الأحمر أبقى للبرتغاليين السيادة في تلك المياه، وفي داخل الخليج العربي، ومدخل البحر الأحمر ولعل هذا السبب الذي جعل الحركة الوطنية في هرمز يتطلع للشاه[1]

ولذلك إعترف ملك هرمز بالخضوع للشاه، الامر الذي جعل موقف البرتغاليين دقيقا، حيث أن الشاه إسماعيل الصفوي كان هو حليفهم الطبيعي ضد العثمانيين، وفعلا عقد مفاوضات مع السلطات البرتغالية من أجل عقد معاهدات تحالف ضد العثمانيين ومن ثم كان الوصول إلى تسوية الأمر مع الشاه بشأن مستقبل هرمز أمرا يسيرا[2] .وفي سنة 1516م توجه الأسطول البرتغالي للاستلاء على ميناء عدن ومكة المكرمة لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه ، فعاد إلى المستعمرات البرتغالية في الهند، حيث جاءه سفير من قبل الشاه إسماعيل الأول الصفوي، وعقد معه معاهدة صداقة، نصت على البنود التالية:

1) تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الحكومة الصفوية بإخماد الانقلابات التى تحدث على سواحل بلوجستان ومكران[3] .

2) تقوم القوات البحرية البرتغالية بمساعدة الحكومة الصفوية بغزو البحرين والقكية

3) تتحد الحكومات الصفوية البرتغالية في حربها ضد الأتراك العثمانيين، وهنا تغاضى الشاه إسماعيل عن جزيرة هرمز ووافق على أن يكون أمير هرمز بعد ذلك تابعا لملك البرتغال، ويدفع له الخراج، ولا تتدخل الدولة الصفوية في أمور تلك الجزيرة[4] .

أنظر: الحموي، المصدر السابق ج5، ص402.

(1)د/ عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص118.

(2)د/ عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص118.

(3)بلوجستان ومكران: تقعا جنوب شرق إيران، شمال خليج عمان.

(4)د/ أبو خليل، المرجع السابق، ص24.

أما فيما يخص العلاقة العثمانية البرتغالية كانت علاقة سيئة، فقد بدأت الحرب بين الأتراك العثمانيين والحكومة البرتغالية في الخليج عام 1550م، حيث سلم عرب القطيف قلعتهم إلى الأتراك، وأخرجوا أمير البصرة من أمارته، فإضطر هذا الأخير إلى طلب المساعدة من البرتغاليين مقابل موافقته على إقامتهم لقلعة في ميناء البصرة[1]

لكن هذه المحاولات نجحت في القطيف وأم تنجح في البصرة حيث أعاد أحد باشوات الأتراكالقائد البرتغالي أنطوينودي توروينا إلى هرمز ولم يستطع من استرداد البصرة وفي نفس السنة دارت مواجهة أخرى بين الأتراك والبرتغاليين على ميناء مسقط حيث قاد الأسطول التركي بيريك، الذي إنتصر على الأسطول البرتغالي واستولى على ميناء مسقط، وزحف إلى جزيرة هرمز التي كانت الأيادي البرتغالية بعد المساعدة التي تلقتها هذه الأخيرة من طرف الصفويين، لكن لم يستطع فتح القلعة البرتغالية، ثم عاد إلى الأراضي العثمانية محملا بغنائم وافرة،وقد دارت عدة حملات بين السفن،البرتغالية والعثمانية على السواحل الإيرانية وعلى جزر البحرين وميناء مسقط وموانئ البصرة في جنوب العراق[2] .

لم يتمكن البرتغاليون والصفويون من زعزعة مواقع العثمانيين في العراق وشرق شبه الجزيرة العربية وقد تعززت سلطة الباب العالي فيه لدرجة كبيرة بحيث أنها أرخمت القز لباش على التخلي عن القتال في هذه المناطق[3] .كما تميزت العلاقات البرتغالية الايرانية في عهد الشاه طهماسب الأول في ظاهرها بالود، وفيما يخص هذا المجال ليس في أيدينا تفصيلا كاملة، لكن ما نعلمه هو أن دون سبستين ملك البرتغال {1557م-1578م} قد أرسل السفراء إلى الشاه طهماسب مرتين، كانت الأولى 1551م والثانية عام 1574م عن طريق جزيرة هرمز، كانو محملين بالهدايا والتحف، وعندما وصلو إستقبلهم الشاه ببرودة، ذلك نتيجة المعاملات السيئة التي يتعامل بيها

(1)نصر الله فلسفي، إيران وعلاقاتها الخارجية في العصر الصفوي 1500م/1736م، تر: محمد فتحي يوسف الريس، دار الثقافة، للطباعة والنشر، القاهرة،1989م، ص181.

(2)فلسفي، المرجع السابق، ص ص 18 -19.

(3)إيفانوف، المرجع السابق، ص94.

المسلمين في هرمز من طرف البرتغاليين[1] .ونتيجة علاقتع الودية مع السلطان القانوني أيضا بعد عقد صلح أماسية 1555م ، وبعد وفاة الشاه طهماسب خلفه ابنه الشاه محمد خدابنده .

وفي السنة الرابعة من حكم هذا الأخير عام 1580م عادت العلاقة مع البرتغاليين والتي كانت خاضعة لاسبانيا في هذه الفترة إلى غاية 1640م، أي إلى غاية العام الثالث من حكم الشاه صفي، حيث أرسل فيلب الثاني ملك إسبانيا سفيرا إلى الصفويين وذلك لثلاثة أسباب هي:

1)أن يمنح شاه إيران لأتباعه المذهب الكاثوليكي حرية دينية في كل إيران

2)أن لا يكف يده عن عداوة وقتال العثمانيين.

3) أن يمنح الرعايا الاسبان إمتيازات تجارية.

وتم إرسال القسيسالأب سيمون مورا له، وإستقبله الشاه بالترحاب، وطلب منه تعليم ابنه حمزة ميرزا العلوم الرياضية والفلك، ومنه تغاضى الشاه عن المفاوضات الودية والصلح مع الأتراك، بناءا على طلب القسيس[2] .أما في عهد الشاه عباس الكبير توالت الرسائل إلى ملوك أوروبا وحكامها، وإشتملت على فتح أبواب الصداقة، لكراهيته للعدو المشترك لهما وهو العثمانيون، وطلب من إمبراطور ألمانيا وبابا روما وسائر حكتم أوروبا بحل مشكلاتهم الداخلية وعقد معاهدات صداقة ومودة، كما وعدهم بتقديم ستين ألف مقاتل بكل جاهزيتهم، للوقوف معهم ضد السلطان العثماني، ورأى أن القضاء على العثمانيين واجب، ولا يتم ذلك إلا بالهجوم فورا عليها من الشرق والغرب، وتعهد بفتح كل الدولة الصفوية أمام التبشير، وتشييد الكنائس دون أي موانع إذا إتحدت معه أوروبا[3] .

في 9يونيو 1599م أرسل بعثة من العاصمة أصفهان توجهت إلى أوروبا على رأسها الجاسوس البريطاني (أنثوني شيرلي) [4]،مع الهدايا الثمينة ،وقدم الشاه خاتمة الذهبي وقال له((ياأخي، إنني أقبل أي شيء توقعه بهذا الخاتم، حتى ولو كان يساوي سلطتي كلتيهما، حيث زارت هذه البعثة

(1)فلسفي، المرجع السابق، ص19.

(2)نفسه، ص20.

(3)أبو خليل، المرجع السابق، ص25.

(4)أنثوني شيرلي: ولد عام 1568م بإنجلترا ، ينحدر من أسرة معروفة ومتطورة، طلب منه الذهاب ليحرض الشاه عباس الكبير، على محاربة الدولة العثمانية والإتحاد مع الدول المسيحية الأوروبية والحصول على إمتيازات للتجار الإنجليز.

كل من: روسا،النرويج ومنها أرسلت رسائل إلى كل من: بريطانيا، ألمانيا،براغ عاصمة بوهيم، ثم صدت إيطاليا ثم إستقبلت من طرف ملك إسبانيا بحفاوة كبيرة ثم عادت لشبونة إلى ميناء هرمز، وقد تم إرسال بعثة تبشيرية في عام 1601م فاستقبلوا بالترحاب من طرف الشاه عباس، ووافق على إقامة دير وكنيسة وأكد وجوب دخول ملوك أوروبا في حرب ضد العثمانيين، وإعترف الشاه عباس الكبير بالانتصارات التي حققها على العثمانيين بمساعدة الدول الأوربية، التي كانت في أقصى الشمال الغربي للدولة العثمانية، ومنه كان يستغل الوضع في جنوب الشرقي،وهذا كان سببا في توقف الفتوحات في أوروبا،وبالمقابل ساعدهم في إحتلال الاسبان لمناطق الخليج[1] .

2-بريطانيا (إنجلترا):

في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر الميلادي عام 1598م،1599م وصلت إلى أصفهان جماعة من خمسة وعشرين إنجليزيا برئاسة السير أنطوني شيرلي وأخوه، وكانت مهمتها تحريض الشاه عباس الكبير على محاربة العثمانيين والإتحاد مع الدول الأوربية المسيحية،والحصول منه على إمتيازات خاصة للتجار الانكليز، ورحب الشاه بدوره بهذه البعثة[2] .

(1)فلسفي، المرجع السابق، ص ص 27 -32 -56 -61.

(2)د/ أبو خليل، المرجع السابق، ص ص 29 -30.

وهذه المقولات من بعض ما قاله الشاه ليعبر عن مدى فرحته بالأخويين شيرلي حيث قال:((....إنني سعيد لأنكم وصلتم بالسلامة إلى بلاطي، وأقدامكم فوق أعيننا ..)) وقال أيضا((..إنه يفضل حذاء أي مسيحي على أكبر رجل عثماني. .))

وهذا يوضح مدى كره وعداءه الشاه عباس الكبير العثماني لأنهم سنيين[1]،وقد منح الشاه عباس أنطوني شيرلي لقب أمير وخاطبه "ميرزا أنطونيو" وعلم هذا الأخير مجموعة من الجنود الصفويين فنون الحرب الحديثة،بإستخدام الأسلحة النارية، هذا ما سبب قلقا وخوفا لدى السلطة العثمانية، وقد أصبح لديهم خمس مئة عربة مدفع برونزي وستون ألف بندقية[2]، وبهذا الشكل تدخلت إنكلترا في الصراع العثماني الصفوي على العراق، فبعد تدريب وجهود، وتمكن الصفويون من المدفعية والبندقية ساهم هذا في رجوع كفة القوة للصفويين، مانتج عنه توازن القوة بين العثمانيين الذين كانو سباقين للفوز بفضل المدفعية التي لم يكن الصفوين يعلمون عنها أي شيء، وعن الحرب الحديثة في كل ميادينها في القرن السابع عشر، هذا مساعد يشكل كبير الشاه عباس الكبير وخلفائه في تحقيق إنتصارات على العثمانيين في بلاد العراق، وبقيت هذه العلاقة تتميز بالود بين الانكليز والإيرانيين حيى بعد وفاة الشاه عباس الكبير

ففي فترة حكم صفي حثل التجار الانكليز من حاكم بغداد على إذن بتخليه بضائعهم في ميناء البصرة، حتى أنهم أقاموا مركز تجاري ثابت في البصرة عان 1643م[3] ،أما علاقة العثمانيين بالانكليز تمثلت في التجارة، حيث إعتمدت على الحصول على الامتيازات التجارية، التي بدأت من البند الخامس عشر الذي ذكر في المعاهدة التي أبرمت بين العثمانيين والدولة الفرنسية عام 1535م، حيث فتح الباب لانكلترا للدخول في هذا الاتفاق[4] ،

السلطان سليمان القانوني سمح بدوره للتجار الانجليز عام 1553م، بأن يتاجروا بحرية في الإمبراطورية العثمانية[5] ، وأن يأتوا ببضائعهم إلى الموانئ العثمانية، وحصلوا على عدة إمتيازات

(1)فلسفي، المرجع السابق، ص ص 143 -144.

(2)د/ أبو خليل، المرجع السابق، ص30.

(3)فلسفي، المرجع السابق، ص ص 191 -192.

(4)إدريس الناصر الرائيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن 16م، ط1، دار العدى، لبنان2007م

(5)خليل اينا لجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، دار المدار الإسلامي، 2002م، ص214.

تجارية أخرى في كل من عام 1580م،1583م، 1595م وفي 1601م[1] ، وقد اسمرت الصلات بين السلطة العثمانية ودية لاتشوبها التذبذبات حتى أواخر القرن السابع عشر على الأقل[2] .

3-روسيا :

أرسلت السفارة الفارسية الأولى إلى أوروبا 1599م-1603م من قبل الشاه عباس الكبير الصفوي عام 1599م، للحصول على تحالف ضد الدولة العثمانية، حيث أرسل الشاه وفدا برئاسة هادي بيك وبوادق بك إلى موسكو لطلب المساعدة، كما أنه رحب بالزحف الروسي على باكو ودربند، وطلب من الروس مهاجمة أذربيجان وشيروان، وبلاد الكرخ لإخراج العثمانيين منها، وظلت العلاقات الصفوية قائمة مع روسيا ولم تتوقف المراسلات بينهما، وذلك لحكم مرور جميع البعثات الصفوية إلى أوروبا عبر الأراضي الروسية[3].كما شجع الشاه تجارة الروس على شراء الحرير الإيراني، مما زاد من حجم التبادل التجاري مع أوروبا عبر الطريق الروسي، لأن العثمانيين أغلقوا طرقي العراق والشام أمام التجارة الإيرانية[4]

بعد ضم الشاه عباس الكبير كل من أذربيجان وشيروان وبلاد الكرخ، على حساب العثمانيين أصبحت لع حدودا مع الدولة الروسية، فتوطدت العلاقات بينهما أكثر، ظهرت في تبادل السفراء والمبادلات التجارية بين البلدين، لكن هذا الوضع لم يدم طويلا بسبب وقوع روسيا في ضائقة مالية عام 1618م، وطلبهم المساعدة من الشاه، حيث رد هذا الأخير بالتجاهل ومنه توقفت العلاقة حتى وفاة الشاه[5] .

أما في أوائل القرن الثامن عشرة فقد أدت الصراعات والنزاعات الداخلية في إيران إلى إثارة إهتمام القيصر الروسي بطرس الأكبر (1689م-1720م) الذي أراد التوسيع في بلاد إيران وهذا ما أثر

(1)نفسه، ص 215.

(2)الرائيسي، المرجع السابق، ص 162.

(3)طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص 207.

(4)جمعة، المرجع السابق، ص268.

(5)عبد الحميد الأرقط، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول 1587م 1629م ،مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة حمة لخضر –الوادي -,2014 -2015م،ص80.

على سير الصراع العثماني الصفوي على العراق فقد هجمت كل جهة على أخذ ما تستطيع من الأراضي والمساحات حيث تطلعت روسيا إلى التوسيع عبر ولايات الكرخ وإيران القوقازية وتحويل بحر القوقاز إلى بحيرة روسية، وإتفقت مع الشاه طهماسب إبن الشاه حسين الصفوي الذي استقل بحكم ولايات قزوين، وتعهد له بطرد الأفغان من إيران مقابل تنازل الصفويين له عن ولايات قزوين، كيلان، مارنذان وأشرباء، فأخذتهم روسيا وبذلك توغلت في الأراضيالإيرانية[1]، وإستغلت بدورها الدولة العثمانية هذه الأحداث وإستولت هي الأخرى على أرمينيا وبلاد الكرج[2]، لكنها تعرضت إلى تهديد نفوذها في هذه المناطق بسبب توغل القوات الروسية في الأراضي الإيرانية، فقام أحمد الثالث بإرسال مبعوث إلى بطرس الأكبر أن هذا الزحف يعني الحرب على الدولة العثمانية، أدى هذا إلى دخول الطرفين في مفاوضات لوقف الزحف، واتفقوا على أقسام إيران بموجب معاهدة 1724م، قضت بأن تحتفظ كل من الدولتين على ما إستولت عليه من أراضي إيرانية، وتحالفوا ضد طهماسب[3]

وبعد وفاة بطرس عام 1725م، وإعتلت كاترين الثانية العرش، عاد النشاط العسكري لروسيا ضد الدولة العثمانية، وعقد تحالف ضدها مع النمسا[4]، ومنه بدأت روسيا تتوسع في المناطق الإيرانية، في ظل مراقبة الدولة العثمانية وعجز الأوزبك عن المقاومة، للتحالف الصفوي الروسي (1552م-1605م)

ثم أضحى القوقاز ساحة للصراع الروسي –العثماني-الصفوي، وإمتد التهديد الروسي لشمال الدولة الصفوية 1605م-1774م، مهدد أراضيها في ظل تصاعد الصراع العثماني الصفوي .

4-البندقية وجنوة:

(1)عبد الجميد البطريقي، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ط1، دا النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص ص 258 -259.

(2)المحامي، المرجع السابق، ص318.

(3)طقوش، التاريخ العثماني منذ الخلافة، ص 271.

(4)نفسه، ص 272.

لقد كان موقف كل من البندقية وجنوة من الصراع العثماني–الصفوي لا يختلف عن موقف البرتغال،فقد سعت هي الأخرى للتحالف مع الصفويين ضد العثمانية،ونظرا إلى النجاح الذي حققه العثمانيون في البلقان وسواحل البحر الأسود، مما أثار رعب وحفيظة اليندقية وجنوة، فقد سعيا إلى عقد مباحثات سرية مع الصفويين قصد التآمر على السلطنة العثمانية، وكذلك تشجيعها للطموحات الثورية في الشرق، حتى تقلل من التهديد العثماني لهما، وبذلك أصبح نشاطهما مصدرا آخر للمتاعب الموجهة ضد العثمانيين وإستطاعت البندقية أن ترغم حاكم ألبانيا على إنهاء تحالف مع العثمانيين، وأقنعته بإستأناف الهجمات على الحاميات العثمانية في الشمال بعد تعاونه مع ملك البوسنة والتخلص من الخضوع لسيادة العثمانيين.

وقد كان الإتفاق مع البندقية في عهد الشاه إسماعيل حيث أرسل هو الآخر إلى بلاطها طالبا الهجوم على العثمانيين عن طريق البحر وأن يقوم هو بالهجوم من ناحية البر، بشرط تسترد البندقية قواعدها التي فقدتها في البحر الأبيض المتوسط[1].

أما عهد الشاه عباس الكبير فقد سعى هو لآخر لعقد اتصلات مع الجبهة الصليبية عله يجد حليفا ضد الدولة العثمانية، فقد عروضا للدول الأوروبية عن طريق البنادقة الذين كانوا يغتنمون الفرص من أجل إيجاد حليف يخلصهم من السيطرة العثمانية[2] .

(1)الرائيسي، المرجع السابق، ص 30.

(2)حفيظة مفتي. سعيدة بوقرة، العلاقات العثمانية_الصفوية خلال القرن 16 مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، 2014م -2015م، ص57.

- **المطلب الثالث: نتائج الصراع العثماني الصفوي على العراق :**

بدأت إيران الصفوية في مطلع القرن الثامن عشرة ميلادي بالتراجع، بعد العصر الذهبي والمزدهر الذي عرفته في القرن السابع عشر خاصة في عهد الشاه عباس الأول، وهذا لأنها إستطاعت إرجاع الوحدة السياسية والدينية المذهبية إلى البلاد،إلا أنها وجدت نفسها تتراجع بسبب فساد ملوكها وفتحهم المجال للغرب بالتدخل في شؤونها مما جعلهم يطمعون بها، وكان لحبرها ضد العثمانيين على العراق الأثر الكبير في تراجعها، وفيما يخص الدولة العثمانية فهي الأخرى شهدت تراجعا كبيرا في المجال الإقتصادي فهذه الحرب قد أنهكت كلتا البلدين، ومن أهم نتئج هذا الصراع نذكر:

- انقض هذا العهد بإستعادة بغداد من الشاه صفي، وكانت هذه الحرب وسابقتها دمرت الدولتين، فطمع الجانب الغربي بهما، وزادت أمالهم في إكتساح الشرق[1].
- كان الصراع بين الدولتين مساوي انعكست على العالم الاسلامي عامة ومشرقه خاصة إذا كان للظروف الدولية المتمثلة بسيطرة القوة الأوروبية على البحار والمحيطات والتي أدت إلى احتكارها للتجارة الدولية بين الشرق والغرب، وحرمان سكان المنطقة من لعب دور الوسيط التاريخي لهذه التجارة، مما أفقر دول المنطقة وأفسح المجال لهذه القوة مع مرور الزمن لأن تتحول إلى عدة أشكال من الهيمنة الاستعمارية دون وادع لها[2].
- عند دخول الشاه إسماعيل الصفوي في العراق عام 1508م (بغداد، البصرة، الموصل) فتك بأهلها من السنة والنصارى وأعلنت المذهب الشعي رسميا في العراق وأجبر بعض السنيين على التشييع[3].
- خطب للشاه الأول على المنابر وسكت النقود بإسمه دلالة على ضمه العراق لمملكته وأخذ يصبغ العراق بالصبغة الشيعية، فعمر مزراب الأئمة الشيعة وخرب مزرات الأئمة

(1)المحامي، 42، المرجع السابق، ص312.

(2)العويفي، الصراع الصفوي العثماني في عصر الشاه عباس الأول ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة دفعة 2014, ص85

(3)الأعظمي، المرجع السابق، ص ص 102 -103.

السنة وهذا ماكان يحدث في كل مرة ترجح كفة النصر للشاهات الصفويين أو السلاطين العثمانيين وفي الملحق رقم 2 سنوضح قائمة بأسماء الشاهات والسلاطين [1].

- إكتسب السلطان سليمان القانوني حب السنة والشيعة معا بعد دخوله لبلاد العراق عام 1534م، ذلك بإنتهاجه سياسة اللين والرفق معهم، حيث قام بترميم مقامات ومزارات الأئمة السنة والشيعة معا عكس ما قام به سلفه الشاه إسماعيل الصفوي.
- قسمت العراق إلى أربعة ولايات منذ عهد القانوني هي: بغداد، البصرة، الموصل وشهرزور، حيث كانت الأولى بمثابة المركز[2].
- استقر العثمانيون في بغداد ومناطق العراق الشمالية، واتجهت أنظارهم إلى تركيز سيادتهم على البصرة ومناطق جنوب العراق وتمكنوا من ذلك 1546م وهكذا أصبح العثمانيون عن طريق نفوذهم في العراق يطلون على الخليج العربي من بوابته الشمالية، قد قادهم هذا النجاح إلى فتح مناطق خليجية مطلق على الخليج كالأحساء وغيرها.
- قسم العثمانيون الولايات الأربعة العراقية إلى سناجق، حيث ولاية بغداد قسمت إلى ثمانية عشر سنجقا(لواء) وولاية البصرة إلى ستت سناجق كانت ضرائبها تجي بطريقة الالتزام، وولاية شهرزور إلى واحد وعشرين سنجقا[3].

- أثر الصراع الذي لم يكد ينقطع بين الطرفين على العراق تأثيرا سيئا في البلاد وذلك في عدة نواحي:

-توارد الزوار إلى العتبات المقدسة.

-تبادل التجارة مع أصفهان وتبريز.

- انقلاب الأمراء الأكراد المذبذبين في ولايتهم للطرفين

(1)طقوش، المرجع السابق، ص ص 60 - 61،و أنظر الملحق رقم 2 ص ص 80 -81.

(2)قايا، المرجع السابق ص28.

(3)د/ أبو علية، المرجع السابق،ص160.

– أسفرت حملة 1638م عن خروج الصفويين من العراق وتوقيع معاهدة زهاب عام 1639م التي اعترف بموجبها الصفويون بتبعية العراق للدولة العثمانية، هي أهم المعاهدات التي تم بموجبها تثبيت الحدود بين الدولتين بالنسبة للعراق.

– كانت معاهدة زهاب أكثر دقة ووضوح من المعاهدات التي سبقتها، بشأن الحدود بين الدولتين بالسبة للأراضي العراقية، حيث حددت الحدود بين الدولتين على أساس المناطق الحدودية وليس على أساس الخطط المبينة من سيطرة الدولة التي تبدأ حتى سيطرة الدولة الأخرى لأن السيطرة تختلف من مدة الأخرى ةقد تزحف حدود السيطرة لتشييع أو تقل حسب قوة الدولة وضعفها[1] .

– أرسلت معاهدة زهاب فترة من الهدوء والسلام بين الجانبين وتعد هذه الفترة واحدة من أطول فترات الهدنة التي لم تتعرض الأرض العراقية لهجمات الجانبين عليها قياسا بما سبق.

– إن قيام الأفغان بغزو الأراضي الفارسية عام 1722م وسقوط الدولة الصفوية أعطى الفرصة للدولة العثمانية لأعلان الحرب على بلاد فارس ليستولوا على مناطق مهمة من غربها وجنوب منطقة القوقاس، لكي لا يثير العثمانيون الروس عقدوا معهم معاهدة عام 1724م، تقاسمت بموجبها مناطق النفوذ داخل إيران، ذلك على أن المعاهدة السابقة التي وقعت بين الطرفين كانت هشة ولم تصمد أمام المتغيرات التي ترتبت على ضعف الدولة الصفوية وانهيارها أمام الأفغان أو نهاية وإختفاء الدولة الصفوية في 1736م[2].

عدت بغداد مصدرا للتحرك العثماني نحو جنوبي العراق والسواحل الشرقية لشبه الجزيرة العربية التي كانت امتداداتها تتصل بمركزية البصرة جغرافيا، وكان البحر الأحمر وسيطرتهم على العراق باتجاه الخليج الغربي فشكلوا بذلك مناخيين قويين في العراق مركز تجمع وصناعة السفن التي استفاد منها العثمانيون كثيرا في مجابهة البرتغاليين في عهد السلطان القانوني[3].

(1)طلال أحمد السعدون، المعاهدات والاتفاقيات العراقية الفارسية عبر التاريخ، دار الفكر، الكويت، 2003م، ص ص 77، 78.

(2)المحامي، المرجع السابق، ص323.

(3)د/ الجميل، المرجع السابق، ص100.

خاتمة

خاتمـــة:

من خلال معالجتنا لموضوع العراق بين الصراع العثماني الصفوي من القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر توصلنا إلى حوصلة لهذه الدراسة:

- إن العراق كان ساحة فعلية للتنافس العثماني الصفوي إذ سعت الدولتان للوصول إليه في سبيل إتخاذ نقطة وثوب ضد الأخرى ومنعها من الإستفادة منه، لكي لا تضر بمصالح الدولة الأخرى.
- إن الدولتين العثمانية والصفوية في علاقتهما الحربية والسلمية في مرحلتهما التاريخية في القرنين السادس عشر والسابع عشر والنصف الأول من القرن الثامن عشر، لم تخضعها إلى العامل الديني المذهبي فقط بل كان هذا الأخير مجرد وقود للمعارك أو مسرح للتعبئة لها.
- الدولتان العثمانية والصفوية، لم تقدما نفسيهما على أنهما دولتين إسلاميتين تتصارعان من أجل السيطرة على العالم الإسلامي بدافع ديني فقط، بل إنطلاقا من دوافع أخرى إستراتيجية، سياسية وإقتصادية .
- كان الصراع العثماني الصفوي هو المحرك الأساسي للتقارب بين شاهات الدولة الصفوية وبين الدول الأوروبية، حيث أدركوا أنهم لن يستطيعوا مناهضة الدولة لعثمانية إلا بالتعاون مع أعدائها الأوروبيين.
- كان لهذا الصراع تأثير على الدولة العثمانية حتى قبل بدايته بالشكل الظاهر وإنما منذ ظهور وبداية نشاط الدولة الصفوية خاصة نشاطها المذهبي الذي هدر مصالح الدولة العثمانية في البلاد العربية وكذا كان له تأثير على الدولة الصفوية وتجلى هذا التأثير على الدولتين في عدة ملامح.
- تغير الوجهة العسكرية أو النشاط العسكري للدولة العثمانية، من الغرب المسيحي أي من فتح الدول الأوروبية ونشر الإسلام فيها إلى الصراع نحو الشرق الإسلامي ومجابهة دولة إسلامية ألا وهي الدولة الصفوية .
- زيادة الحقد الصفوي الشيعي على الدولة العثمانية السنية لأن هذه الأخيرة حققت أهدافا إقتصادية وإستراتيجية ضيقت بها على الدولة الصفوية .

- إدراك العثمانيين لمدى أهمية الحرير الفارسي كسلاح سياسي في مناطق إنتاجه من جهة وبإعتباره كمصدر لرسوم الجمركية من جهة أخرى، وإدراك الصفويين أيضا أهميته كمصدر لتزويدهم بالمال، فأصبح بذلك سلاح سياسي استعمل في خوض الحروب بين الطرفين.
- إنهاك قوة كل من الطرفين في هذا الصراع حيث إنتهت الدولة الصفوية في الأخير بالأفول والزوال، ودخلت الدولة العثمانية أيضا في مرحلة الضعف وبدايات الإنحطاط.
- أرسى هذا الصراع العثماني على بلاد العراق بمجموعة من السلبيات والإيجابيات على الدولتين تبلورت في عدة مجالات .
- حققت الدولة العثمانية من خلال توسعها في الشرق أهدافا إقتصادية، وإزدادت مواردها الإقتصادية من حيث سيطرتها على طريق البصرة، بغداد، حلب، سيطرت على ثاني أهم طرق التجارة، حيث أن هذا الطريق يمثل مدخلا لإحتوائه مصادر الثروة الإيرانية "" إي تجارة الحرير"".
- حصول الدولة العثمانية على مناطق إستراتيجية فالبصرة عدت بابا للعثمانيين إضافة إلى المنطقة الشمالية من العراق "" ولاية شهرزور"".
- إقامة الدولة الصفوية لعلاقات وتحالفات مع الدول الأوروبية على إثر هذا الصراع عادت بالفائدة على الصفويين، خاصة في الناحية العسكرية، فتجلى ذلك في عهد الشاه عباس الكبير حيث أعاد تنظيم الجيش، فأدخل الأسلحة النارية وضع المدفعية والبنادق الأوروبية الحديثة بمساعدة الأخوين الإنجليزيان شيرلي، ذلك ما رجح كفة الإنتصارات والقوة للصفويين في تلك المرحلة .
- عادت هذه التحالفات والعلاقات الطيبة بين الدول الأوروبية والدولة الصفوية بالسلب على الدولة العثمانية حيث كان الهدف منها حياكة مؤامرات ضد الدولة العثمانية، هذا ما سبب العديد من العراقيل لهذه الأخيرة.
- سيطرة العثمانيين على الطرق المؤدية إلى الأراضي المقدسة في العراق ""النجف وكربلاء""، إضافة إلى السيطرة على طرق التجارة للبلاد الأوروبية كانت من أشد الضربات التي تلقاها الصفويون.

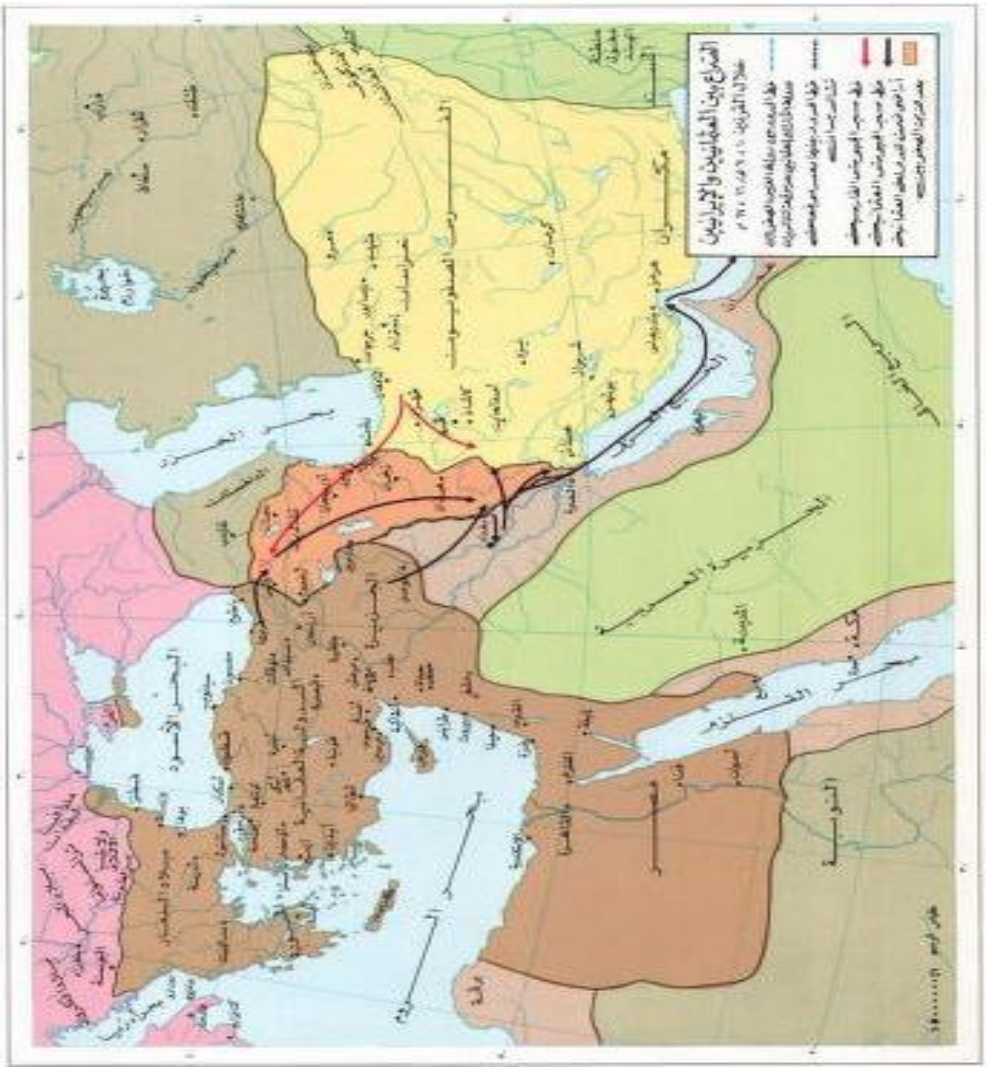
- فرض الدولة العثمانية الحصار التجاري كسلاح من أسلحة الحرب ضد الدولة الصفوية، حيث لجأ السلطان سليم الأول إلى مصادرة البضائع الفارسية من أيدي التجار العرب، الترك والفرس وجرم استراد الحرير الفارسي وبيعه حيث كان هذا الحصار الإقتصادي ضربة موجعة للدولة الصفوية على عدة جوانب .
- لقد ألقى هذا الصراع بضلاله على العراق، حيث شهدت السنوات الأولى من القرن السادس عشر وتحديدا منذ عام 1508م إلى 1534م صراعا مريرا بين الصفويين والعثمانيين عليها وأضحت العراق ساحة صراع ووقعت على أرضه حروب عديدة غايتها السيطرة وإستثمار خيراته لصالحهما، فإن سهول العراق الخصبة، وكونه يشكل منفذا سهلا للوصول إلى بلاد الشام ومنها إلى البحر المتوسط الذي كان يعد أفضل الأحواض البحرية التجارية، حيث تحول الطريق العالمي بين الشرق والغرب عن الشرق الأدنى إلى طريق رأس الرجاء الصالح، إن كل ذلك فضلا عن عوامل أخرى دفعت بهاتين الدولتين للتنافس والصراع من أجل الهيمنة على العراق.
- إن الصراع الصفوي العثماني على العراق لم يترك العراقيين الخيار في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، لذلك فقد العراق إستقلاليته وسيادته، ولم يشهد تطورا مهما في المجالات السياسية، الاقتصادية والإجتماعية إلا في بعض الفترات
- عقدت الدولتان عددا من الاتفاقيات والمعاهدات التي ألقت بضلالها السلبية على العراق، فكان هذا الأخير هو الخاسر الأساس من تلك الإتفاقيات والمعاهدات لأن قسما من أراضيه ومياهه في شط العرب قد حصلت عليها الدولة الصفوية من الدولة العثمانية التي لم تخسر شيئا، إذ فرطت بأراضيه ومياهه من أجل إقامة سلام مع الصفويين ضمنا لمصالحهافي حين تحمل العراق وزر قصر النظر السياسي للعثمانيين الذي حكم العراق في النهاية حتى أخذهاالبريطانيون إبان الحرب العالمية الأولى .
- الصراع العثماني الصفوي على العراق استمر بين الطرفين دون حسم، حيث تناوب الطرفان الهجوم والتوسع، أو الدفاع والتراجع، ومن ثمة تناوب السيطرة على هذه المنطقة حتى سقوط الدولة الصفوية، على إثر حملة نادر خان الأفغاني عام 1736م، لكن لم ينتهي الصراع على العراق وإنما بقي متواصل من طرف الدولة العثمانية مع الدول التي

توالت بعد الصفويين في الرغبة بالسيطرة على هذه المنطقة إلى أن تم إحتلالها من طرف البريطانيين إبان الحرب العالمية الأولى .

وفي الأخير يمكن القول أن موضوع العراق بين الصراع العثماني الصفوي من القرن السادس عشر إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر،يعد من أهم المواضيع التي لا تزال بحاجة لمزيد من البحث والإثراء، وعليه يبقى المجال مفتوحا لكل من أراد التوسيع في هذا الموضوع قصد الإحاطة بكل الجوانب والجزئيات وإزالة الغموض الذي مازال يكتفيه .

ملحق رقم 1:

خريطة توضح النزاع العثماني الصفوي:



د–عباس اسماعيل ياغي , المرجع السابق ص335–336.

الملحق رقم 2 :يوضح أسماء السلاطين العثمانيين و الشهات الصفويين و سنوات حكمهم.

قائمة بأسماء السلاطين العثمانيين

١ ـ	عثمان الأول	٦٩٩ ـ ٧٢٦ هـ	١٢٩٩ ـ ١٣٢٦ م
٢ ـ	أورخان	٧٢٦ ـ ٧٦١ هـ	١٣٢٦ ـ ١٣٥٩ م
٣ ـ	مراد الأول	٧٦١ ـ ٧٩٢ هـ	١٣٥٩ ـ ١٣٨٩ م
٤ ـ	بايزيد الأول	٧٩٢ ـ ٨٠٥ هـ	١٣٨٩ ـ ١٤٠٢ م
٥ ـ	محمد الأول	٨٠٦ ـ ٨٢٤ هـ	١٤٠٣ ـ ١٤٢١ م
٦ ـ	مراد الثاني	٨٢٤ ـ ٨٥٥ هـ	١٤٢١ ـ ١٤٥١ م
٧ ـ	محمد الثاني	٨٥٥ ـ ٨٨٦ هـ	١٤٥١ ـ ١٤٨١ م
٨ ـ	بايزيد الثاني	٨٨٦ ـ ٩١٨ هـ	١٤٨١ ـ ١٥١٢ م
٩ ـ	سليم الأول	٩١٨ ـ ٩٢٦ هـ	١٥١٢ ـ ١٥٢٠ م
١٠ ـ	سليمان الأول	٩٢٦ ـ ٩٧٤ هـ	١٥٢٠ ـ ١٥٦٦ م
١١ ـ	سليم الثاني	٩٧٤ ـ ٩٨٢ هـ	١٥٦٦ ـ ١٥٧٤ م
١٢ ـ	مراد الثالث	٩٨٢ ـ ١٠٠٣ هـ	١٥٧٤ ـ ١٥٩٥ م
١٣ ـ	محمد الثالث	١٠٠٣ ـ ١٠١٢ هـ	١٥٩٥ ـ ١٦٠٣ م
١٤ ـ	أحمد الأول	١٠١٢ ـ ١٠٢٦ هـ	١٦٠٣ ـ ١٦١٧ م
١٥ ـ	مصطفى الأول	١٠٢٦ ـ ١٠٢٧ هـ	١٦١٧ ـ ١٦١٨ م
١٦ ـ	عثمان الثاني	١٠٢٧ ـ ١٠٣١ هـ	١٦١٨ ـ ١٦٢٢ م
١٧ ـ	مصطفى الأول	١٠٣١ ـ ١٠٣٢ هـ	١٦٢٢ ـ ١٦٢٣ م
١٨ ـ	مراد الرابع	١٠٣٢ ـ ١٠٤٩ هـ	١٦٢٣ ـ ١٦٤٠ م

١٩ ـ	إبراهيم	١٠٤٩ ـ ١٠٥٨ هـ	١٦٤٠ ـ ١٦٤٨ م
٢٠ ـ	محمد الرابع	١٠٥٨ ـ ١٠٩٩ هـ	١٦٤٨ ـ ١٦٨٧ م
٢١ ـ	سليمان الثاني	١٠٩٩ ـ ١١٠٢ هـ	١٦٨٧ ـ ١٦٩١ م
٢٢ ـ	أحمد الثاني	١١٠٢ ـ ١١٠٦ هـ	١٦٩١ ـ ١٦٩٥ م
٢٣ ـ	مصطفى الثاني	١١٠٦ ـ ١١١٥ هـ	١٦٩٥ ـ ١٧٠٣ م
٢٤ ـ	أحمد الثالث	١١١٥ ـ ١١٤٣ هـ	١٧٠٣ ـ ١٧٣٠ م
٢٥ ـ	محمود الأول	١١٤٣ ـ ١١٦٨ هـ	١٧٣٠ ـ ١٧٥٤ م
٢٦ ـ	عثمان الثالث	١١٦٨ ـ ١١٧١ هـ	١٧٥٤ ـ ١٧٥٧ م
٢٧ ـ	مصطفى الثالث	١١٧١ ـ ١١٨٧ هـ	١٧٥٧ ـ ١٧٧٤ م
٢٨ ـ	عبدالحميد الأول	١١٨٧ ـ ١٢٠٢ هـ	١٧٧٤ ـ ١٧٨٩ م
٢٩ ـ	سليم الثالث	١٢٠٢ ـ ١٢٢٢ هـ	١٧٨٩ ـ ١٨٠٧ م
٣٠ ـ	مصطفى الرابع	١٢٢٢ ـ ١٢٢٣ هـ	١٨٠٧ ـ ١٨٠٨ م
٣١ ـ	محمود الثاني	١٢٢٣ ـ ١٢٥٥ هـ	١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ م
٣٢ ـ	عبد المجيد	١٢٥٥ ـ ١٢٧٧ هـ	١٨٣٩ ـ ١٨٦١ م
٣٣ ـ	عبد العزيز	١٢٧٧ ـ ١٢٩٣ هـ	١٨٦١ ـ ١٨٧٦ م
٣٤ ـ	عبد الحميد الثاني	١٢٩٣ ـ ١٣٢٧ هـ	١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ م
٣٥ ـ	محمد رشاد الخامس	١٣٢٧ ـ ١٣٣٦ هـ	١٩٠٩ ـ ١٩١٨ م
٣٦ ـ	محمد وحيدالدين	١٣٣٦ ـ ١٣٤١ هـ	١٩١٨ ـ ١٩٢٢ م

قائمة بأسماء الشاهات الصفويين

١ ـ	إسماعيل الأول	٩٠٧ ـ ٩٣٠ هـ	١٥٠١ ـ ١٥٢٤ م
٢ ـ	طهماسب الأول	٩٣٠ ـ ٩٨٤ هـ	١٥٢٤ ـ ١٥٧٦ م
٣ ـ	إسماعيل الثاني	٩٨٤ ـ ٩٨٥ هـ	١٥٧٦ ـ ١٥٧٨ م
٤ ـ	محمد خدابنده	٩٨٥ ـ ٩٩٥ هـ	١٥٧٨ ـ ١٥٨٧ م
٥ ـ	عباس الأول	٩٩٥ ـ ١٠٣٧ هـ	١٥٨٧ ـ ١٦٢٨ م
٦ ـ	صفي الأول	١٠٣٧ ـ ١٠٥٢ هـ	١٦٢٨ ـ ١٦٤٢ م
٧ ـ	عباس الثاني	١٠٥٢ ـ ١٠٧٧ هـ	١٦٤٢ ـ ١٦٦٧ م
٨ ـ	سليمان الأول	١٠٧٧ ـ ١١٠٥ هـ	١٦٦٧ ـ ١٦٩٤ م
٩ ـ	حسين الأول	١١٠٥ ـ ١١٣٥ هـ	١٦٩٤ ـ ١٧٢٢ م
١٠ ـ	طهماسب الثاني	١١٣٥ ـ ١١٤٤ هـ	١٧٢٢ ـ ١٧٣١ م
١١ ـ	عباس الثالث	١١٤٤ ـ ١١٤٨ هـ	١٧٣١ ـ ١٧٣٦ م

عباس إسماعيل ياغي ,المرجع السابق , ص347– 348.

قائمة المصادر والمراجع

1-المصادر:

أ-المصادر العربية :

1.الاشبيلي اللخمي علي بن محمد، الدرلمصان في سيرة المظفر سليم خان، تح، هارنس أرنست، دار الأحياء للكتب العربية، القاهرة 1962م .

2.أمجان فريدون، سليمان القانوني سلطان البريين والبحرين، تر، جمال فاروق، أحمد كمال، ط1، دار النيل، القاهرة، 2014م.

3.البدليسي شرف خان، شرف نامة، تعريب، محمد علي عوني، وزارة التربية والتعليم العبئة المصرية للكتاب، القاهرة 1958م .

4.الحموي ياقوت، معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1977م .

5.سرهنك إسماعيل الميرالاي، تاريخ الدولة العثمانية، تق،حسين الزين، دار الفكر الحديث، لبنان، 1988م

6.لونكريك ستيفن هيملسي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، تعريب، جعفر الخياط، الطبعة السادسة 1985م .

1.محمد بن على الشوكاني،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن 7، القاهرة، السعادة1348م

ب-المصادر الأجنبية :

1. **Hammer josephvan ,histoir de l'histoire de l'empire ottomande puis son origme jusqu'à nos jour , vol 5,paris,1995**

2-المراجع :

أ-المراجع العربية :

2.أبو خليل شوقي، تشالديران، سليم الأول وإسماعيل الصفوي، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق ، 2005م.

3.أبو علية عبد الفتاح حسن، المبراطورية العثمانية والوطن العربي، دار المريخ للنشر، السعودية، 2008م

4.الأعضمي علي ظريف، تاريخ الدولة الفارسية في العراق، مطبعة الفرات، بغداد، 1346م .

5.الأعضمي علي ظريف، مختصر تاريخ البصرة، بغداد، 1927م .

6. أوزتونا يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، تر، سليمان محمود عدنان، مج1، مؤسسة فيصل للتمويل، ط1، تركيا، 1988م.

7.إيقانون نيقولاي، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516م/1573م، تر، يوسف عطا الله، الطبعة الأولى، دار الغرابي، بيروت 1988م .

8.إينالجيك خليل، تاريخ الدولة العثمانية من النشوءّ إلى الإنحدار، دار المدار الإسلامي، 2002م .

9.بروكلمان كارل، تاريخ الشعوب الاسلامية، تر، نبية أمين فارس وآخرون، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1924م.

10.البطرق عبد الحميد، نوار عبد العزيز، التاريخ الأوروبي الحديث في عصر النهضة إلى مئتمر فيينا، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1997م .

11.بيات فاضل، البلاد العربية في الوثائق العثمانية، ج1، إسطنبول 2010م.

12.الجمعي عبد المنعم إبراهيم، المشرق والمغرب العربي، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الفيوم، القاهرة، 2013م .

13.الجميل السيار، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1996م.

14.حتى فليب، خمسة ألاف من تاريخ الشرق الأدنى ، مج1،ط1، 1980م، ط2، 1982م، الدار المتحدة للنشر، بيروت، لبنان .

15.الحويري محمود محمد، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، الطبعة الأولى، القاهرة، 2002م .

16.درويش على ابراهيم، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية 1501م/1576م، الطبعة الأولى، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسات، بيروت، 2013م.

17.رافق عبد الكريم، العرب والعثمانيون 1516م/1916م، الطبعة الأولى، دمشق 1974م .

18.الرئيسي إدريس الناصر، العلاقات الأوروبية في القرن 16م، ط1، دار الهدى، لبنان 2007م .

19.شاكر محمود، التاريخ الاسلامي (العهد بالعثماني)،ج8،ط1، المكتب الاسلامي، بيروت، 1986م .

20.الشلف أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516م/1916م، الطبعة الأولى، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م .

21.صباغ عباس إسماعيل، تاريخ العلاقات العثمانية الايرانية، الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين .

22.طقوش محمد سهيل، تاريخ الدولة الصفوية في إيران 1501م/1736م، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت، 2009م

23.طقوش محمد سهيل، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت، 2013م.

24.طلال أحمد السعدون، المعاهدات والإتفاقيات العراقية الفارسية عبر التاريخ، دار الفكر، الكويت، 2003م

25.عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516م/1922م، دار النهضة العربية بيروت 1984م .

26.عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، بيروت، 749هـ .

27.فلسفي نصر الله، إيران وعلاقاتها الخارجية في العهد الصفوي 1500م/1736م، تر، يوسف الريس محمد فتحي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989م .

28.قايا بيك، كربلاء في الأرشيف العثماني –دراسة وثائقية 1840م/1876م، الطبعة الأولى، دار العربية للموسوعات، بيروت، 2008م .

29.الكوثراني وجيه، الفيه والسلطان، جدلية الدين والسياسة في تجربتين تاريخيتين العثمانية والصفوية، القاجازية، الطبعة الرابعة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت 2015م.

30.مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، تر، بشير الشباعي، ج1، الطبعة الأولى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م .

31.مجموعة باحثين، الصفوية التاريخ والصراع والرواسب، الطبعة الأولى، مركز المسار للدراسات والبحوث، الامارات العربية المتحدة، 2010م .
32.المحامي محمد فريدبك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، الطبعة الأولى دار النفائس، بيروت، 1981م.
33.محمد جمعة بديع، الشاه عباس الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م .
34.مصطفى أحمد عبد الرحيم، أصول التاريخ الاسلامي، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، 1993م .
35.نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة.
36.نوار عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم مدحت باسا، دار الكاتب العربي، للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.
37.هريري محمد عبد اللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في إنحصار المد الاسلامي عن أوروبا، الطبعة الأولى، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987م .
38.الوردي علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث "" من بداية العهد العثماني حتى منتصف القرن 19م، ج1، الطبعة الأولى، انتشارات الشريف الرمن، ايران .
39.ياغي إسماعيل أحمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض.
40.ياغي إسماعيل أحمد، العالم العربي في التاريخ الحديث، الطبعة الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م.

3-الأطروحات والرسائل الجامعية :

1.الأرقط عبد الحميد، أوضاع الدولة الصفوية وعلاقاتها الخارجية في عهد الشاه عباس الأول 1588م/1929م، مذكرة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة حمة لخضر، 2015/2014 .
2.حفيظة مفتي، سعيدة بوقرة، العلاقات العثمانية الصفوية خلال القرن 16م ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر .

3.عطرجي أبو حسن العلوي بن حسين، الصفويون والدولة العثمانية، مر، محمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، .

4.العوفي محمد عبد الرزاق، الصراع الصفوي العثماني في عصر الشاه عباس الأول 1587م/1629م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، 2014 م.

4-المعاجم والموسوعات:

1.الحموي ياقوت، معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار مادر، بيروت، 1977م .

2.شاكر محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، الأردن، 2005م .

3.صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م .

4.نخبة من أساتذة الجغرافيا، الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي، مج4، الجمهورية العراقية المملكة العربية السعودية، 1419م .

فهرس المحتويات :

المحتويات	الصفحة
- الشكر و العرفان - الإهداء - قائمة المختصرات - مقدمة	
المبحث الأول : مظاهر الصراع العثماني الصفوي على العراق	19 - 09
المطلب الأول: عوامل الصراع العثماني الصفوي على العراق	14-09
1-عوامل الصراع	12 -10
2- أسباب رغبة الدولة الصفوية بالعراق	13 14
3-أسباب رغبة الدولة العثمانية بالعراق	
المطلب الثاني:بداية الصراع العثماني الصفوي على العراق من 1508م إلى 1524	19- 15
1-دخول الشاه إسماعيل لبغداد	16 - 15
2 -معركة جالديران 1514م	18 - 17
3-نتائج معركة جالديران 1514م	19-18

المبحث الثاني :تطور الصراع العثماني الصفوي على العراق من 1524م إلى 1736م	46 –21
- المطلبالأول:المرحلةالأولى من 1524م–1588م	36 - 21
–حملة السلطان القانوني للعراق ومواجهاته للشاه طهماسب الأول	32 –21
- فترة الهدوء النسبي في صراع الطرفين على العراق 1576م-1588م	36 –33
–المطلب الثاني: المرحلة الثانية 1588م–1736م	46 –37
– الشاه عباس الأول وتجدد الصراع القوي 1588م–1629م	39–37
– البوادر الأولى للحكم العثماني على العراق	41–40
– الصراع على البصرة 1642م–1700م	44 -42
–حالة العراق أيام أحمد باشا ونادر خان	45
–حملة نادرخان على العراق 1729م	46 –45
المبحث الثالث : آثار وتداعيات الصراع العثماني الصفوي على العراق	73 - 48
– المطلب الأول: المعاهدات المبرمة إثر هذا الصراع	62- 48
–القرن 16م	57- 48
–القرن 17م	62–58
– المطلب الثاني: مواقف الدول الأوربية في الصراع العثماني	70–63

الصفوي على العراق	
–البرتغال وإسبانيا	66 –63
–بريطانيا (إنجلترا)	68–67
–روسيا	70 –68
–البندقية وجنوة	70 73–71
المطلب الثالث: نتائج الصراع العثماني الصفوي على العراق	
-خاتمة	78 – 75
-الملاحق	82 – 79
-قائمة المصادر و المراجع	87 – 83
-فهرس المحتويات	90 – 89